نحو مسرح إسلامي معاصر (٤)

الشمس والدنس
مسرحية ذات أربع فصول

د. عماد الدين خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست
الفصل الاول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع

الفصل الاول

١٩٦٦م :

(.. صالة فسيحة في ادارة الخطوط الجوية .. ديكوراتها انيقة .. اثاثها حديث يتميز بالفخامة .. على الجدار الايسر علقت خرائط ولوحات اعلان وصور فوتوغرافية وسياحية ملونة .. اما الجدار المقابل فقد قامت فيه ثلاثة ابواب انيقة ، يفضي اولها ، في الجهة الداخلية للمسرح الى غرفة سكرتارية المدير ، وينفتح اوسطها وثالثها ، الاقرب الى الجمهور ، على الصالة الخارجية التي أُعدت لانتظار المراجعين وجلوسهم ومتابعة عملية قطع التذاكر .. والتي يبدو في جانبها القريب – اذا ما فتحت الابواب – عدد من المقاطع يقبع خلفها موظفو قطع التذاكر وتسلم النقود ... الخ .

في صدر الصالة يجلس ، وراء مكتب فخم : عصام ، نائب المدير وهو مهندس طيران قديم ، وان كان لا يزال يحتفظ بقسط كبير من الحيوية والشباب .. والى اسفل الجدار الايسر ، تحت الخرائط والاعلانات مباشرة صفت ثلاثة مكاتب اصغر حجماً يجلس وراء اولها : عبد الهادي رئيس ملاحظي الادارة ، وهو حقوقي لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر ، حسن الملامح ، ذكي النظرات ، خفيف الظل ، والى المكتب المجاور يجلس : سعدون ، ملاحظ حديث عهد بالتعيين من خريجي فرع الجغرافية في كلية الاداب ، يعنى بتأنقه بشكل مفرط ... اما المكتب الثالث فلا يجلس اليه احد ، وان كانت قد تكدست فوقه اضابير قد علاها الغبار ..

عبد الهادي يضغط على زر الجرس .. بعد لحظة يدخل الفراش ...)

عبد الهادي (وهو يمسح جبهته بقطعة من الورق النشاف) ائتني بكوب ماء (الى سعدون) ها قد مرت عليك عشر دقائق ولم تطلب فيها ماء بعد ؟

عصام (ينشف جبهته هو الآخر ، وهو منهمك في تسيير المعاملات التي رصت على مكتبه) لحظة انا ايضاً اريد ماء (يعود الى عمله)

عبد الهادي (الى سعدون) وانت ايها الفتى الحالم .. لابد وانك اليوم اكثر عطشاً (يغمز بعينه الى المنضدة الفارغة)

سعدون (ينشف جبهته هو الآخر) وماذا يجدي الماء إذا كان سيخرج بعد لحظات عرقاً غزيراً من اجسادنا ؟

عبد الهادي يبرد دماءنا على الاقل .. يرطب امعاءنا ، وليخرج بعد هذا من أي مكان يشاء !!

سعدون ولكني لا اطيق تلبد العرق والملح على جسدي .. آه لو كنت في البيت اذن لجثمت تحت (الدوش) الساعات الطوال .. اني افكر في اجازة .. اجازة طويلة .. ان الحر يكاد يصهرني ..

عبد الهادي لقد اوقفت الاجازات بعد ان تسرب نصف الموظفين .. ان دائرتنا لا تحتمل مزيداً من التفريط بهم .. ها انت ذا ترى ازدحام الصالة الخارجية بالراغبين في السفر .. انهم يريدون ان يفروا من الموجة الرهيبة ..

سعدون الى اين ؟! فكل بلاد العالم تعاني اليوم من الموجة نفسها .. ألم تسمع المضيفين القادمين من الشرق والغرب وهم يحدثوننا عن الحر الذي لا يطاق هنا وهناك ؟

عبد الهادي أتراها ازمة عالمية ؟

سعدون بكل تأكيد ..

عبد الهادي فاين ذهبت تقسيماتكم الجغرافية للمناخ ؟

سعدون الى جهنم !!

عبد الهادي (وهو يغمز بعينه الى المنضدة الفارغة) انني اسأل الله ان يعينك على غيابها ..

سعدون لنسأله ان يعيننا عليها جميعاً ..

عبد الهادي على ماذا ؟

سعدون غياب التقسيمات الجغرافية للمناخ.

عبد الهادي لم اقصد هذا .. وعلى اية حال فانني اشاركك الاسف لان اجازتك اصبحت مرهونة بعودتها ..

سعدون وما علاقة اجازتي بالتقسيمات ؟

عبد الهادي عودتها هي !!

سعدون (ينتبه) أأصدقك القول ؟ ان حَراً كهذا يجعل القلوب تفور اكثر مما يجب ، انه يصل بها إلى درجة الغليان فتتبخر منها كل معطيات العاطفة والوجدان .. انها تقابل تماما الحالة التي يتجمد فيها القلب البشري ويصيبه البرد فتتيبس في اعماقه كل العواطف والانفعالات ..

عبد الهادي أهي نظرية جديدة في الحب ؟

سعدون صدقني .. لم اكن اريد منها سوى ان تعطي الاشارة الايجابية لكي اقفز على جناح الشوق الى اهلها فاطلب يدها ..

عبد الهادي ما اكثر الذين انتظروا هذه الاشارة ، فلما جاءتهم قفزوا على جناح الاثرة المتشهية لتدنيس من يحبون ، او يتوهمون انهم يحبون ..

سعدون (مستمراً) اما الآن .. وفي قعر هذا الاتون الملتهب من يفكر بالزواج ؟

عصام (يرفع رأسه من بين الاكداس) ان جهاز التكييف يقذف هواءاً دافئاً .. ألم تشعرا بذلك ؟ (يمد يده فيتحسس الهواء) ..

عبد الهادي أحس بما هو ادهى من ذلك .. انه عما قريب سيدفع الينا بالهواء الحار .. ولعله بعد ايام يقذفنا بالنار .. (يضغط على الجرس).

(يدخل الفراش ..)

ثلاث زجاجات (بيبسي) ودورقا من الماء المثلج ..

سعدون ولماذا لا تطلب منهم ايقاف اجهزة التكييف ؟

عصام معنى هذا اننا سنختنق .. فمن لمعاملات هؤلاء المجانين (يشير الى الصالة الخارجية) الذين يريدون ان يهربوا من الجحيم الى جحيم آخر ؟

(يدق جهاز المكالمات الداخلية .. نسمع صوت المدير دون ان نتبينه .. يجيبه عصام)

عصام نعم .. حالاً ... (يقفل الجهاز ويلتفت الى زميليه) لحظة واحدة لقد طلبني السيد المدير (يتجه صوب الباب المفضي اليه ويدخل).

عبد الهادي آه لو كان لي جناحان فأطير بهما الى اعلى قمة في العالم واتمرغ بثلجها !!

سعدون وهل تعتقد ان ثلجاً يستطيع ان يصمد امام هذه الموجة مهما كان ارتفاع المكان الذي يتحصن فيه ؟

عبد الهادي مجرد حلم يا سعدون .. مجرد حلم .. انني اكاد افقد اعصابي.

(يخرج عصام ويتجه الى مكتبه)

عصام هاكم الانباء والتعليمات الجديدة .. لقد تلقى السيد المدير اعلاماً بتقليص ساعات العمل الى ثلاث بدلاً من خمس !!

عبد الهادي (معاً) الحمد لله !!

وسعدون

عصام قالوا له ان اجهزة الارصاد اشارت الى احتمال تزايد خطير في درجات الحرارة خلال الايام ، وربما الساعات القادمة .. وانه اذا مضت الموجة الى غايتها فربما سيتوقف الدوام في الدوائر الى اشعار آخر .. واعلموه بان ضربات الشمس خلال عودة الموظفين بعد الظهر الى دورهم اخذت تزداد خاصة بالنسبة لاولئك الذين تجاوزوا الستين من العمر ..

سعدون أحرى بهؤلاء ان يفسحوا الطريق لمن هم اقدر منهم على مجابهة تحديات الحياة.

عبد الهادي ولو تعلق الامر بابيك او اخيك ؟

سعدون لا استثني منهم احدا !!

عبد الهادي وها انت ذا لا تحتمل قليلاً من الملح المتيبس على جلدك !!

عصام (بنبرة حزينة) ان الامر اخطر مما نتصور جميعاً .. انها محنة يعاني منها العالم كله ولا يدري احد الى اين ستقوده .. أهي نكسة تاريخية جديدة ؟ أكُتِبَ على بني آدم انهم كلما مضوا خطوات واسعة نحو التحضر والاعمار ضربتهم نكبة فوق طاقتهم فردتهم إلى الوراء.

(يفتح الباب الاوسط ويدخل احد المضيفين وهو يتصبب عرقاً)

عصام (بترقب) ما وراءك يا احمد ؟

المضيف قبل اقل من نصف ساعة حطت بنا على ارض المطار الطائرة (بوينك ٧٠٧) العائدة من لندن .. وفي نصف الساعة التي قطعنا فيها الطريق الى هنا كاد ثلاثة منا يسقطون من الحر والاحساس بالاختناق ..

سعدون وهناك في لندن .. أصحيح ما يقال ان الحر يحاصرهم هم الآخرون ؟

المضيف لكأني بكم بمعزل عما يجري في العالم .. ألم تسمعوا نشرات الاخبار ؟ انهم هناك في لندن ، وغيرها من عواصم العالم ، يعانون المحنة بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ .. أتدرون ؟

عصام (يضغط على الجرس) قبل ان تتم حديثك .. ألا ترطب جوفك بشئ ؟

المضيف دورق مثلج من الماء .. لم تعد المرطبات الغازية تجدي نفعاً .. انها تزيد النار في اجوافنا .. عفواً .. لقد اردت ان اقول ان عشرين بالمائة من سكان لندن الموسرين هربوا إلى اقصى شمال اسكتلندا .. وقيل ايضا ان الامريكان والكنديين أنشأوا معسكرات اقامة جماعية في الجهات الدنيا من القطب وانهم الآن بصدد تنظيم خطوط مواصلات مأمونة لنقل المسافرين وضمان التموين..

سعدون وماذا عن المصالح العامة والخاصة؟

المضيف يقال انها خفضت الى نسبة الخمس من اجل تحقيق التوازن المطلوب في الخدمات ..

عبد الهادي معنى هذا ان موجة الحر اللعينة هذه ، اذا ازدادت سعاراً ، تحول مؤشر الانجاز والخدمات الى حدوده الدنيا .. وربما سيصل نقطة الصفر في يوم قريب.

المضيف بكل تأكيد ..

سعدون ويقولون اننا في قمة التحضر ... واننا وضعنا قوى الطبيعة تحت اقدامنا واننا فجرنا الذرة وغزونا الفضاء ..

عصام ألم يُعرفْ السبب الحقيقي لحد الآن ؟

المضيف هناك محاولات مضنية في مراكز الرصد والاستطلاع .. وهناك في المؤسسات العلمية نشاط محموم .. ورغم ذلك فانهم لم يصلوا لحد الآن الى نتيجة جازمة .. انهم لا يريدون ان يطلعوا على الناس بتكهنات لا اساس لها من الصحة .. انهم لا يريدون ان يكذبوا على الناس .. ان القضية – كما يبدو – اخطر بكثير من مجرد منحهم جرعات من المسكنات ، وهم يتلوون من الالم ... ان العالم كله يحترق اليوم ..

(جرس التلفون على مكتب عبد الهادي يدق .. يرفع السماعة)

عبد الهادي آلو .. نعم ... انا هو .. نعم ؟ موجود .. اضعه دائماً في احدى مجرات مكتبي .. ولكن ما جدوى السماع إلى نشرات الاخبار ؟ نبأ هام ؟ خطير ؟ طيب .. سأنصت اليه ... مع السلامة (يضع السماعة ويمد يده الى احدى مجرّات مكتبه فيستخرج راديو ترانزستور صغير ويدير زره) ..

عصام ماذا يا عبد الهادي ؟

عبد الهادي ستسمعون بانفسكم (يرفع الصوت).

(نستمع الى موسيقى هادئة يقطعها بين الحين والحين صوت المذيع) ..

المذيع أيها المواطنون سنذيع عليكم بعد قليل نبأً هاماً ... (يتحلق الجميع حول المذياع وينظر بعضهم الى بعض بوجوه تتأرجح تعابيرها بين اليأس والرجاء ..)

سعدون ان يضعوا ايديهم على مصدر الداء فذلك معناه اننا بدأنا الطريق نحو النهاية .. نهاية مأساتنا ورعبنا او نهاية العالم .. ان الذي يحس بالاختناق لا يريد سوى النهاية .. اياً كانت هذه النهاية .. اما ان يظل يتخبط في النفق المظلم الطويل الذي يعج بالغازات الخانقة فذلك هو اقسى ما يمكن ان يبتلى به انسان .. انه ... (ينصت اذ تتوقف الموسيقى ونستمع الى صوت المذيع)

المذيع أيها المواطنون .. يا من قدرتم على تحمل المحنة ببطولة نادرة .. يا من حققتم اقصى درجات الانضباط وانتم تتحركون في اتون عالم يحترق .. كونوا على بطولتكم وانضباطكم وانتم تتلقون هذا النبأ المفجع الذي اعلنته قبل قليل ثلاثة من المراصد الكبرى في العالم (يرتجف صوت المذيع) ان الشمس – كما اكدت هذه المراصد – قد زحفت قليلاً باتجاه عدد من الكواكب السيارة المحيطة ومن بينها الارض .. وهي الآن تواصل زحفها النسبي البطئ درجات اخرى .. وربما ستكف بعدها عن التقدم ، وربما – وهذا شئ يبعث على الامل العميق – ستجد كرتنا الارضية ، وعبر الاختلال في نسب المكونات الغازية وضغوطها ، الطريق ممهدا امامها للتراجع قليلا الى الوراء واستعادة توازنها الحراري المناسب .. وحتى ذلك الحين فانكم ستجابهون ايها المواطنون محنة اقسى وامر من ذي قبل .. ولن نجتازها الا ببطولة اكبر وانضباط اعظم .. وسنوافيكم بكل ما يستجد لدينا من انباء ..

(تعود الموسيقى الهادئة ثانية .. ينظر الموظفون بعضهم الى بعض بعيون تنضح رعباً وهلعاً .. يخرج المضيف دون ان ينبس ببنت شفة .. يعود عصام وسعدون الى مكتبيهما .. العرق يتصبب من جباه الرجال الثلاثة بغزارة دون ان يفكر احد منهم بتجفيفه ..)

عصام (بصوت يابس) أهو خطأ في تركيب الكون كُتبَ على جيلنا بالذات ان يعاني ويلاته ؟ أما هم فلا يمكن ان يخطئوا .. ان العلم لا يخطأ ابدا .. ها نحن نعاني من آلام حر لا يطاق .. جحيم لم تشهد له البشرية مثيلا .. ولا يمكن ان يفسر ذلك إلا بما اعلنوه فعلا .. ان الشمس تقترب .. لماذا كل هذا العناء ايها الناس (يرتجف صوته) انني اتذكر طفلي الصغيرين وهما يضربان بايديهما الطرية التي لا تتجاوز طول احداهما قلمي هذا ، يقاومان برئاتهما الصغيرة ويلات الحر والاختناق .. انني لا استطيع ان ارى طفلا يتعذب .. ما الذي جنوه حتى يتعذبوا ؟ عشرات القرون والاطفال يتنفسون الهواء الطيب ..

حتى اذا جاء دورنا كان علينا ان نتألم مرتين من اجلنا واجلهم .. بل انني اتألم من اجلهم بالذات عشرات المرات .. ان ثمة خطأ في تركيب الكون وها نحن اولاء ندفع الثمن القاسي ...

عبد الهادي (بابتسامة مطمئنة) هون عليك يا عصام فلا يمكن ان يكون هناك خطأ في تركيب الكون .. يقينا .. لا يمكن ان يكون هناك خطأ ..

عصام والجحيم الذي نختنق بدخانه ؟

عبد الهادي ألا يجوز ان يكون من صنع ايدينا نحن ؟!

عصام (بدهشة) من صنع ايدينا ؟ هذا الحر المجنون الذي يغرق العالم ، من صنع ايدينا؟ انك تجافي منطق العلم يا عبد الهادي .. يبدو ان القانون علمكم شيئا آخر غير العلم !!

عبد الهادي نعم .. لقد علمنا شيئا آخر غير العلم .. شيئا هو اكبر من العلم نفسه .. شيئا لم يكن العلم نفسه سوى ثمرة من ثماره .. لقد علمنا فلسفة النظام ...

عصام أية فلسفة هذه ونحن نرى نظام الكون يتداعى امام اعيننا ؟!

عبد الهادي من قال ان الكون يتداعى امام اعيننا ؟ المراصد ؟ اولا يجوز ان تخطئ هذه الاجهزة التي ابتكرها العقل البشري ؟ ان صناعها انفسهم يتواضعون فيكررون القول دوما بان علمهم واجهزتهم تتعرض للخطأ والصواب ما دام ان العقل البشري نفسه يتعرض هو الآخر للخطأ والصواب .. منذ ملايين السنين والكون يتحرك ، تمددا واتساعا ، من خلال نظام محكم دقيق ومعجز .. ولو حدث وان افتقد هذا النظام في جانب ما من جوانب الكون .. لو حدث وان تسلل الخراب اليه عبر ثغرة من ثغراته ، ولو كانت تافهة حقيرة ، كما يتوهم اليوم ، لكان الكون قد تداعى منذ ملايين السنين ..

عصام وما الذي امسكه طيلة هذه الفترة المديدة ؟

عبد الهادي الله ... ذلك الخلاق المبدع الذي صنع النظام العظيم .. ليست معطيات العلم جميعا سوى اشارات جزئية محدودة على جوانب هذا النظام .. جوانب واجزاء فحسب !!

عصام وهل يبيح الخالق لنفسه ان يعذب الاطفال ؟

عبد الهادي انك دائما تدور لكي تبدأ من النقطة نفسها .. ان ما قاله العلم هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. حتى إذا اعجزك النقاش لجأت إلى ما يلجأ اليه الوجوديون العبثيون عندما يستدلون على

انكار الله ، وانعدام النظام ، بمجرد رؤيتهم طفلا تدهسه سيارة أو يدهمه مرض عضال فيتعذب ويموت .. ولم يفكر احد منهم ، أو لم يشأ ان يفكر ، في ان الذي يسوق الاطفال إلى العذاب والموت هو القصور الذي يعانيه الموقف البشري نفسه .. لقد كان الطاعون فيما مضى يفتك بالالوف والملايين فلماذا لا يستطيع اليوم ان يفعل شيئا ؟ واذ يدهس مائة طفل في بعض المدن بسبب خطأ في نظام المرور .. لا يدهس طفل واحد في مدينة اخرى بسبب احكام هذا النظام .. وقنبلتا هيروشيما وناغازاكي هل اسقطهما الله على عباده الصغار لكي يتسلى بتعذيبهم ؟ عشرات القرون والاطفال يتنفسون الهواء الطيب فلماذا يختنقون اليوم ؟

(جهاز المكالمات الداخلية ينفتح ونسمع صوت المدير وهو يطلب من معاونه عصام ان يتجه إلى غرفته)

عصام حالا (يدخل غرفة المدير)

سعدون (يخرج من تأملاته التي غرق فيها طيلة الدقائق الاخيرة) قبل ايام فحسب كنت املك طموحا كبيرا .. كنت اريد ان التهم العالم .. اشعر اني املك قوة لا تغلب واني سامضي الى اماني واحلامي بالحق والباطل ... ها انا ذا اصدقك القول يا عبد الهادي ، ونحن جميعا نقف عراة في صحراء عالم يحترق .. لم اكن اريد ان اتزوج منها (يشير الى المنضدة الشاغرة المجاورة) ابدا ... ما كنت احتمل قيد الزوجية وسجنه الرهيب .. قررت ان اكذب عليها .. واكذب واكذب حتى اوقعها في المصيدة .. ان كل اصدقائي يفعلون ذلك .. اما الآن فانني اطلب المغفرة واحتقر كذبي .. احتقر ضعفي وعجزي .. لقد قلت لكما قبل قليل انني اريد النهاية ايا كانت .. فقط ان نخرج من النفق المظلم الطويل ميتين لا يحسون ، او احياء ينعمون بالهواء النقي ... ولقد جاءت النهاية الآن وها انا ذا اشعر بخوف رهيب .. لقد كذبت مرة اخرى .

عبد الهادي (يحدق فيه باشفاق ومحبة وهو يجفف العرق الغزير من جبهته) انك في قلب الحياة بعد يا سعدون .. ولا يعوزك سوى قليل من الثقة والتفاؤل .. لقد محصتك النار التي تحرق العالم اليوم ولا شك ان كثيرين سيسقطون .. كثيرين سيحترقون .. كثيرين ستغدو حياتهم مجرد كومة من رماد لا طعم له ولا رائحة .. ولكن هناك ايضا من سيجتاز المحنة وهو اكثر براءة ونقاء .. سيخرج منها ، وقد نزع عن جلده ، وهو ينصهر هناك ، كل دنسه واقذاره ..

سعدون وهل سنخرج من النار يا عبد الهادي ؟

عبد الهادي باذن الله !!

(يرجع عصام الى مكتبه وهو بادي القلق والاضطراب .. يأخذ بتجميع الاضابير المبعثرة على المنضدة ووضعها في دولاب مجاور)

عصام لقد اخبرني السيد المدير الآن انه تلقى امرا باغلاق الدائرة خلال نصف ساعة، وان سائر دوائر الدولة قد تلقت اوامر مشابهة ، وان من المؤكد ان بلاغا بمنع التجول سيصدر حالما يستقر الناس في بيوتهم ... وستتولى جهات حكومية خلال الايام التالية مهمة امدادهم بما يحتاجون .. لقد اصبحت ممارسة الاعمال في الخارج صعبة جدا .. بل مستحيلة .. وسنمكث في دورنا لحين صدور تعليمات جديدة .. ومن يدري ؟

سعدون (يجمع اضابيره ويضعها في مجر المكتب) أترى سيقدر لنا ان نلتقي ثانية ؟!

عبد الهادي (يضع اضابيره هو الآخر داخل الدرج وهو يقول ضاحكا) اذا قدر لنا ان نخرج من النار !!

(يغادرون المكان واحدا بعد الآخر ، واذ ينفتح احد البابين المؤديين الى الصالة الخارجية تطرقا اسماعنا اصوات مختلطة لعدد كبير من المراجعين ، بعضهم يطالب باسترجاع مبالغه ، وبعضهم يطلب التأكد من حقه في السفر حال الانتهاء من المحنة ، ونسمع صوت عبد الهادي وهو يداعبهم ..)

عبد الهادي انجوا بجلودكم ايها الناس فهذا يوم لا يفكر فيه احد بسفر او مال ..

(يغادر الدائرة)

احد المراجعين (يبدو في الطرف القريب من الباب المفتوح وهو متشبث بمكتب احد الموظفين) واذا اردت ان استرد قيمة تذكرتي ؟

الموظف المبلغ محفوظ .. يمكنك استرداده فيما بعد ..

المراجع ولعلي اقرر السفر .. فهل تبقى بطاقتي مفتوحة .. اوكى ؟

الموظف او .. كي ..

المراجع أمتأكد انت من ذلك ؟

الموظف متأكد.

المراجع واذا استمر منع التجول اكثر من شهر ؟

الموظف (وقد نفد صبره) اذا قامت القيامة واحترق العالم ثم جئتنا بعد ذلك فانك ستجد تذكرتك مفتوحة تماما .. صالحة للعمل.

المراجع الى نفس الاماكن التي حجزت عليها ؟

الموظف نفس الاماكن طبعا (ثم بغيظ ساخر) ويمكنك ايضا ان تفيد من تذكرتك وبسبب من الظروف الاستثنائية للذهاب الى ..

المراجع (مقاطعا) الى اين ؟ إلى اين ؟ ارجوك ..

الموظف الى جهنم !!

(يسكت المراجع ويغادر المكان دون ان ينبس بشئ !!)

(وما نلبث ان نلمح مراجعا ثانيا يتحدث في المكتب المجاور مع موظف ثان ..)

المراجع انني لا احب الانتظار .. اريد ان استرجع المبلغ هذه اللحظة ..

الموظف لا يمكنك ذلك .. لقد اقفل الصندوق .. وها نحن اولاء نتهيّأ للخروج ..

المراجع وما ذنبي انا ؟ انها ثلاثة وسبعون دينارا .. أأتركها معلقة على كف عفريت طيلة فترة قد تجاوز الشهرين أو الثلاثة ؟

الموظف ربما اكثر من هذا .. ان املك عريض ايها الرجل .. ان مصيرك نفسه يبدو معلقا اليوم بين الامل والقنوط .. انك لا تدري ما الذي سيحدث خلال الايام القادمة .. بل الساعات التالية .. من يدري ؟ فلعلك لا تصل إلى بيتك (مستدركا) وانا كذلك .. وكل هؤلاء الذين تجعدت وجوههم حزنا على الدنانير التي اشتروا بها تذاكر سفرهم .. ليس ثمة ضمان اليوم ... ليس ثمة ضمان..

المراجع وما ذنبي انا ؟

الموظف وما ذنب العالم الذي يوشك ان يحترق ؟

المراجع هذه مسألة اخرى .. لا تخرج بي عن الموضوع .. انني اريد ان استرد مبلغي..

الموظف ولكنك في قلب المسألة ايها السيد .. انك في صميم الموضوع .. اذا احترق العالم فانك ستكون من بين المحترقين ..

المراجع انني اعد كلامك هذا تجاوزا يمكنني ان احاسبك عليه ... وانني اطالب باسترداد المبلغ ..

الموظف (وقد نفد صبره) اما ان تعد كلامي هذا تجاوزا فربما تملك شيئا من الحق في ذلك، رغم ان الحرص الذي يتجاوز حدوده المعقولة يمكن ان يعد في حالة كهذه – واقولها بصراحة – جنونا .. ومع ذلك .. واما ان ارد اليك المبلغ فلا والله لن اعطيك منه فلسا واحدا ..

المراجع (بغيظ مكتوم) ألا يعتبر ذلك سرقة رسمية ؟

الموظف قلت لك ان تذكرتك هي البديل المضمون الكامل للمبلغ الذي تسلمناه منك ، وان بامكانك ، اذا اتيح لك ان تظل حيا ، ان تسترد المبلغ او تمضي الى المكان الذي قررت السفر اليه ..

المراجع (كمن يسترد امله) الى أي مكان ..

الموظف الى المكان المحدد الذي حجزت عليه ..

المراجع (وهو يهم بمغادرة المكان) واذا حاولت ان اغيره الى مكان آخر ؟ ارجوك .. إذا حاولت ذلك فهل ستعينني عليه ؟

(وما نلبث ان نلمح مراجعا ثالثا يتحدث إلى الموظف الاول)

المراجع قلت ان منع التجول ربما يعلن عما قريب ؟

الموظف هذا ما يشاع ..

المراجع (بيأس) معنى هذا ان العالم مقبل على كارثة ..

الموظف (دون اكتراث) ولذلك ترانا نجمع اوراقنا لكي نغادر الدائرة بعد قليل.

المراجع لماذا ؟

الموظف لكي نشترك جميعا في استقبال الكارثة .. الا ترى ان من الاولى ان تكون بين اهلك واطفالك ساعتئذ ؟

المراجع والتذكرة ؟

الموظف ألم تر كيف باءت محاولات المراجعين السابقين بالفشل ؟

المراجع لم اقصد هذا ..

الموظف اعرف .. تريد التأكد من صلاحية التذكرة بعد زوال المحنة ؟

المراجع ولا هذا .. كل ما اردت ان اقوله هو ان التذكرة اصبحت ليست ذات جدوى .. ليست التذكرة وحدها .. بل كل شئ .. فما دمنا سنموت فليس لاي شئ معنى .. لا تذاكر سفرنا ولا سياراتنا ولا دورنا ولا نقودنا .. كل شئ باطل ..

الموظف يمكنك ان تواصل تأملاتك الفلسفية هذه عندما تصل بيتك وتجلس الى اهلك واطفالك لعلهم يجدون العزاء بكلماتك ..

المراجع والتضامن البشري ؟ الوقوف الجماعي ازاء الكارثة ؟ انها فرصتنا الوحيدة لكي نثبت انتصار الانسان على اليأس حتى وهو يعرف انه مهزوم .. يجب ان نتضامن لمجابهة القدر .. والا ضعنا

الموظف لقد انتهى الوقت ايها الرجل ... فدعني الملم اوراقي لكي اهرع الى البيت .. ان الشمس تقترب وان العالم مقبل على حريق كبير .. ان فلسفاتكم هذه .. فلسفاتكم التي تثير الحزن في نفوسكم ، وتبعث الظلمة في قلوبكم ، لن تمنحكم وانتم تحترقون بالنار ، برد اليقين .. ثمة شئ واحد يمكن ان تهرعوا اليه وسط اشتعال العالم .. (الايمان) .. انه الجزيرة الوحيدة التي لن تمسها النار.

(نسمع اقدام بقية الموظفين والمراجعين وهم يغادرون الدائرة .. ومن خلال مذياع ترانزستور يحمله احدهم نستمع الى صوت المذيع) ..

المذيع قرار بمنع التجول

بناء على مقتضيات المصلحة العامة تقرر منع التجول ابتداء من الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم وحتى اشعار آخر .. على كافة المواطنين الالتزام الكامل بالقرار ، وسوف يعرض نفسه لعقاب صارم كل من يشاهد متجولا هنا او هناك ..

(تخف حركة الاقدام .. وتتلاشى .. واذ ينزل الستار نسمع صوت رجل في الشارع البعيد) ..

الرجل ألا يكفي ان تعاقبنا السماء ؟

الفصل الثاني

(صبيحة اليوم نفسه ...).

(قاعة الاجتماعات في مجلس الامن الدولي .. يشاهد عدد من مندوبي الدول الاعضاء وهم يكبون على اوراقهم .. بينما ترى بعض المقاعد شاغرة ..)

المندوب الامريكي (للروسي الذي يجلس الى جواره) انه سيحضر بنفسه هذه المرة لترؤس الاجتماع.

الروسي ان الامر جد خطير ، وقد اصبح حضوره واجبا (يخفض صوته) لم يحضر مندوب الصين .. أتراهم يتصورونه اجتماعا للتآمر على تقسيم العالم ؟

الامريكي (ضاحكا) اية مؤامرة هذه ؟ ان السماء نفسها تتآمر على العالم كله هذه المرة ..

الروسي كنا نحذر دائما من السماء ..

الامريكي وماذا نصنع بالمسيح الذي يقول انه جاءنا مبعوثا من هناك وان مملكته فيها ؟

الروسي اصنعوا مسيحا آخر كما فعل اليهود قبلكم مع إلههم .. عجلا من ذهب ..

الامريكي تعني خلق الشروط المادية التحتية لنشاطاتنا من اجل ان تكون اكثر عقلانية ..

الروسي بالضبط ..

الامريكي في هذه النقطة بالذات لا اظن ان هناك خلافا بيننا وبينكم .. لقد صنع كل منا مسيحه على الطريقة التي تعجبه ..

الروسي ولكن ...

الامريكي ماذا ؟

الروسي توزيع الذهب .. اعني انه الخلاف الوحيد ..

المندوب الانكليزي (للفرنسي الذي يجلس الى جواره) ان جهدنا يجب ان ينصب على ان يكون لدول السوق الاوربية المشتركة صوت مسموع في المحنة التي يتعرض لها العالم ..

الفرنسي وما قيمة ان يكون لها صوت مسموع والنار مقبلة على التهام العالم كله؟

الانكليزي (يخفض صوته) انها مسألة توزيع الغذاء ، وتحديد اسبقية السفر الى الاماكن الاكثر سلامة ..

الفرنسي ولكن مناقشاتنا ستكون مفتوحة وسيشرف عليها السكرتير العام نفسه .. لا اعتقد ان بمقدور أي تكتل دولي او قاري أن يحظى بمكاسب خاصة انها ازمة طاحنة تلف الجميع .. فاية اسبقية هذه ؟

الانكليزي ولكنهما يتهامسان ..

الفرنسي من ؟

الانكليزي ألا تراهما ؟ ممثلا معسكر الوفاق الدولي .. اظن انهما يخططان مسبقا لوجهات النظر التي سيطرحانها .. انهما يريدان اقتسام العالم حتى وهو يحترق ..

الفرنسي أغلب الظن ان حديثهما يدور حول مسألة اخرى ..

الانكليزي مثلا ؟

الفرنسي عدم حضور المندوب الصيني .. انه في نظرهما يعني شيئا ..

الانكليزي ألا يمكن ان يكون هذا التغيب ذا دلالة يتوجب علينا ادراك ابعادها والافادة منها الى اقصى حد ممكن ؟

الفرنسي كيف ؟

الانكليزي ان الصين اليوم هي الثغرة الوحيدة ، الاكبر والاخطر ، التي يمكن أن نلعب معها لعبة التوازن الدولي .. ان اوربا الغربية تريد ان تستعيد مكانتها يا مسيو جاك .. وانها فرصتنا الوحيدة ..

الفرنسي (متحدثا الى نفسه) انهم يحملون نفس تفكيرهم القديم ، هؤلاء الانكليز ، حتى والعالم يجابه حريقا كبيرا (يبتسم بخبث) هل ترتبط الصين بالكومنولث البريطاني يا مسيو براون ؟

الانكليزي (مباغتا) كلا بطبيعة الحال .. ولكن ما الذي تعنيه من سؤال كهذا ؟

الفرنسي كنت اقول لنفسي لو ان الكومنولث البريطاني لا يزال واقفا على اقدامه .. ملايين الاميال الممتدة من اقصى الارض الى اقصاها ، يرفرف عليها العلم البريطاني ذو الامتدادات المتشابكة الزرقاء والحمراء .. لو ان الكومنولث هذا قائم اليوم ، كما كان قبل ثلاثة عقود او اربعة من الزمن .. لو ان التاج البريطاني يملك هيمنته القديمة نفسها .. فهل كان مستر براون يحضر هذا الاجتماع ؟

الانكليزي (بخبث هو الآخر) بل يمكنك ان تسأل هل كانت بريطانيا ستدخل السوق الاوربية اساسا ؟

(يضحكان)

المندوب (لجاره الاوغندي) أتراهم سيتجاوزوننا في هذه المحنة كذلك ؟ وهل

الباكستاني سيستخدمون حقهم الابدي في (النقض) هذه المرة ؟

الاوغندي إن المسألة لا تتعلق اليوم بآسيا او افريقيا .. انها تلف العالم كله ..

الباكستاني اقسم لك انهم سيواصلون (لعبهم) حتى وهم يرون السنة الشمس تتلهى بمصير العالم .. يكفي انهم كبار ..

الاوغندي في الجحيم يستوي الصغير والكبير ..

الباكستاني لكنهم وهم مقبلون على الاحتراق يدفعون الصغير اولا ..

الاوغندي ولكن النار ستأكلهم في نهاية الامر ..

الباكستاني المهم في نظرهم هو من يموت اولا .. ومن يدري ؟ فلعلهم يأملون ، بعد التخفف من نصف سكان العالم أو ثلثيه ، ان يجدوا لمن تبقى منهم ملاجئ كافية تقيهم لفحات الجحيم .. من يدري ؟

الاوغندي ولكننا موجودون .. وستدور المناقشات تحت سمعنا وبصرنا ثم ان السكرتير العام نفسه سيحضر الاجتماع اننا سنفضحهم ..

الباكستاني نفضحهم (يضحك) لقد تعروا قبل ان يجيئوا الى هذا الاجتماع .. بل نزعوا ثيابهم منذ ان وافقوا على دخول هذه الجمعية قبل عشرات السنين .. وهل يخاف العراة على انفسهم الفضيحة ؟ انه كما يقول المثل اذا لم تستح فاصنع ما شئت ..

الاوغندي ولكن صوت الدول الفقيرة سيكون هذه المرة اكثر ارتفاعا ، وكلمتهم اكثر تماسكا واتحادا وسيصك صراخهم آذان الكبار ويرغمهم على تجاوز الشطط والتزام العدل ..

الباكستاني يوم كان العالم ينعم بالرفاهية والسلام ، ما كانوا قادرين على مجرد سماع اصواتنا هذه ، أفهم قادرون اليوم والعالم تلفه النار ويخنقه الدخان ؟

الروسي (لجاره الامريكي) وعلى اية حال فان تغيب التنين الاصفر سيتيح لنا مناقشة المسألة بشكل اكثر تعقلا .. انهم عاطفيون اكثر مما يجب ..

الامريكي كانت السنة النار التي سيلفحنا بها هذا التنين مزعجة حقا (يتذكر) ولكن الشمس هذه المرة هي التنين الذي يتحتم ان نتقي لفحاته ..

الروسي مع ذلك .. مع ذلك ..

الامريكي أتـرى ان انفسـاح اراضـي دولتينـا علـى خطـوط العـرض الشـمالية ، باتجـاه القطـب والمنـاطق الاكثـر بـردا .. سـيعطينا اولويـة مـا فـي القـرارات التـي سيتخذها المجلس ؟

الروسي بكل تأكيد ..

الامريكي ولكن هذا سيحملنا – في الوقت نفسه – متاعب من نوع جديد ..

الروسي مثلا ؟

الامريكي قبول نسبة معينة من سكان الدول والمناطق الاخرى ..

الروسي ان اراضينا لا تكاد تكفي لتحمل هموم الانسان السوفييتي وكثافته السكانية ، أفنزيد مشاكلنا بقبول نسبة كهذه من سكان الدول والمناطق الاخرى ؟

الامريكي (بخبث) ولكن القرار اذا اتخذ في هذا المجلس حيث تنشد انظار الملايين وجب الالتزام به ..

الروسي ومن قال لك ان قرارا كهذا ستتم الموافقة عليه (يخفض صوته) انه الفيتو ..

الامريكي هذا الذي اردت ان اقوله .. ولكن ..

الروسي ولكن ماذا ؟

الامريكي على الاقل حق الجار يا مستر بوشكوف ..

الروسي (يغمز بعينه) أتقصدهم يا مستر بيترمان ؟

الامريكي أيكون لكم جيران غيرهم ؟

الروسي نعم ..

الامريكي من ؟

الروسي اصدقاؤكم في اوربا الغربية (بسخرية) جماعة السوق المشتركة ..

الامريكي ولكنهم اقل اثارة من جيرانكم (الآخرين) على اية حال ..

الروسي بكل تأكيد .. ثم انهم اكثر تحضرا .. ولا يمثلون ضغطا سكانيا (بخبث هو الآخر) ولكن قل لي يا مستر بيترمان .. ما الذي تنوون عمله انتم مع جيرانكم في الشمال، اولئك الذين يملكون ابرد الاراضي واكثرها جليدا والذين يحجزونكم عن التحرك بحرية صوب القطب ؟

الامريكي (متغاضيا) هنالك الآسكا انها الجسر الطبيعي الى الشمال .. الى عالم البرد والجليد ..

الروسي ولكن هنالك ايضا يا مستر بيترمان اراضي (اخرى) تفصل بينكم وبين الآسكا ولا اظن ان ذكرياتكم التاريخية معها نقية تماما ..

الامريكي تقصد كندا ؟

الروسي بالضبط ..

الامريكي أتعتقد انها تقف في طريقنا ؟ اننا اصدقاء يا مستر بوشكوف (يغمز بعينه) على الاقل اننا على مذهب واحد ..

الروسي ولكن .. ألم تكونوا انتم الذين طردتموهم الى هناك قبل اكثر من قرنين ؟

الامريكي أتريد الحقيقة ؟ (يخفض صوته) اننا مستعدون لطردهم مرة اخرى إذا اقتضى الامر ..

الروسي ولكن طردهم الى جهات اكثر نأيا باتجاه الشمال سيخدمهم هذه المرة ..

الامريكي كلا يا عزيزي .. فاننا سنطردهم باتجاه الجنوب هذه المرة ..

الروسي اوه .. مكسيكو .. جامايكا .. اندوراس ..

الامريكي وكوبا .. اذا اقتضى الامر ..

الروسي كلا يا عزيزي .. انني اعتقد انكم تنوون الخروج على مقررات هلسنكي ..

الامريكي على اية حال .. تولوا انتم امر جيرانكم في الجنوب ، وسنتولى نحن امرهم في الشمال.

(يلتفت الجميع صوب الباب الرئيسي حيث يدخل السكرتير العام بقامته الفارعة .. يقف الجميع ريثما يستقر الرجل على مقعده ..)

السكرتير العام ليست القضية ، كما تعتقدون جميعا ، من النوع الذي يحتمل التسويف واطالة النقاش .. ان الزمن يضيق الخناق علينا ، وان التقارير الواردة من المراصد الكبرى لا تزال تؤكد على تحرك الشمس اكثر فاكثر باتجاه الارض .. ان العالم مقبل على كارثة رهيبة .. وان لم تسرعوا باتخاذ القرارات الفعالة اللازمة لمجابهة المحنة فان العالم كله سيحترق ، وإن منجزات الحضارة البشرية العظيمة ستتعرض للدمار .. لقد منحتكم – على ما اعتقد – فرصة كافية لاجراء مناقشات حرة كي تتبلور في اذهانكم الخطوط العريضة – على الاقل – للحلول المقترحة .. وانني اتمنى من كل قلبي ان نصل الى هذه الحلول في اسرع وقت ممكن .. ان انظار العالم كله مشدودة اليوم الى اجتماعنا هذا .. ان مصير كرتنا الصغيرة معلق في ايديكم ..

المندوب الباكستاني (بعد طلب الاذن بالحديث) اعتقد ايها السيد السكرتير العام ان مفتاح الموقف كله يتركز بكلمة واحدة التضامن ..

السكرتير بكل تأكيد .. ولكن تحويل هذه الكلمة الى فعل لمجابهة مصير البشرية المظلم ، هو الذي يجب ان ترسم له الطرائق الآن ..

الباكستاني ليست المسألة على درجة كبيرة من الصعوبة .. ان المشكلة تنحصر في انقاذ اكبر قدر ممكن من الناس ، ومن الخبرات الفكرية بطبيعة الحال .. وان هذا الانقاذ التاريخي الحاسم لا يمكن ان يتحقق ما لم نتفق مسبقا على الجهات التي يمكن ان تتقبّل هذا العدد الكثيف من الناس .. انه بقليل من التضحية يمكن ان نضع خطواتنا الاولى على طريق المجابهة الايجابية للكارثة ..

السكرتير (ملتفتا الى المندوبين الآخرين) هل من تعقيب او رأي ؟

المندوب الفرنسي نستطيع ان نحصر ، من الناحية الجغرافية ، الجهات التي يمكن ان تكون اكثر نأيا عن الحد الحراري غير المحتمل في الايام والاسابيع القادمة .. انها كافة الجهات التي تمتد شمالي خط عرض (٥٠) درجة والذي يخترق المنطقة الممتدة من شمال الصين فاواسط الاتحاد السوفييتي واوربا والمحيط الاطلسي فالتخوم الشمالية للولايات المتحدة .. اما الجنوب ، فاذا كانت الظروف الحرارية تعين على السكنى ، فان توفير المؤن والخدمات هناك ، باتجاه القطب الجنوبي ، يبدو مستحيلا ..

السكرتير والعمل ؟

الفرنسي تقديم تقرير مفصل يتضمن دراسة سكانية للعالم كله ، وتحديد نسب التوزيع والتغذية والخدمات .. مع رسم جدول زمني متقارب لتنفيذ عمليات النقل والانقاذ البشري والمادي .. ولكن شرط ان نتفق مسبقا على قرار ملزم يتضمن قبول كافة الاطراف مشروع القرار هذا.

(يتلفت السكرتير مستطلعا آراء الآخرين ..)

المندوب الاوغندي انني اضم صوتي الى صوت زميلي ، وارى ان الفرصة قد حانت لكي يتقدم الرجل الابيض بمأثرة كبرى من اجل العالم كله .. اننا امام كارثة قد تأتي على الابيض والاسود فاذا لم نتحد ونتضامن لمواجهة ما يمكن ان يدمر حياتنا وحضارتنا على الارض فحرى بالشمس ان تلتهم كرتنا الصغيرة .. كرتنا التعيسة هذه ..

المندوب ولكن .. ألا يمكن مثلا تقسيم العالم الى قطاعات يتولّى كل منها تهيئة

الانكليزي المؤن والخدمات التي تتيح له مجابهة المشكلة باكبر قدر ممكن من الضبط؟

السكرتير مثلا ؟

الانكليزي تشكل دول السوق الاوربية المشتركة قطاعا خاصا يتبادل الخبرات والامكانات لمجابهة المشكلة ، واعتقد انه قدير على اداء مهمته هذه على احسن وجه ..

السكرتير لا نكون قد فعلنا شيئا ..

الانكليزي كيف ؟ ان عددا كبيرا من سكان اوربا الوسطى والجنوبية ممن ينتمون الى دول هذه السوق ستضيفهم الجهات الشمالية ..

السكرتير ومئات الملايين في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ممن سيتعرضون اكثر لفتك الموجة الحرارية الرهيبة ؟

الانكليزي لم اتم وجهة نظري بعد .. ان بمقدور الدول القوية الاخرى ان تمد نشاطاتها لكي تشمل قطاعات اوسع مدى .. فالاتحاد السوفييتي – مثلا – يمكن ان يمد دائرة عمله الى الصين وربما الهند الصينية ..

الروسي (ساخرا) والهند كذلك وجارتها بنغلاديش ..

الانكليزي (مستمرا) وبمقدور امريكا ان تمد دائرة عملها لكي تشمل امريكا الوسطى وجزءا من الجنوبية ..

الامريكي (ساخرا) واستراليا كذلك ..

السكرتير (بصبر نافذ) وافريقيا ؟

الاوغندي (بغيظ مكتوم) يقدم ابناؤها قربانا على مذبح الشمس .. ألم يُؤخذوا يوما الى شواطئ العالم الجديد لكي يحرقوا دماءهم هناك من اجل ان يكسب الرجل الابيض ذهبا اكثر ويأكل لقمة اكبر ؟ .. ها ان التاريخ يعيد نفسه .. ومن خلال مؤسسة دولية ، يعود العقرب إلى الوراء لكي يفرض على الجنس الاسود تضحية جديدة توجب عليه ان يحترق بالنار هذه المرة .. انه الحصاد الدوري المشؤوم الذي اتى حينا على الهنود الحمر ، وكاد ان يأتي على شعب فلسطين .. وها هو ذا يدوم على رؤوس الافارقة السود .. ليست الشمس هي التي تقتلنا ، ولكنها الدول الكبرى.. عشرات القرون ونحن نعايش حر الشمس ولفحها اللاهب فما اعطتنا سوى الحياة والنماء ..

عشرات القرون ونحن نفتح اعيننا على القرص الاصفر وهو يتلظى لهبا .. لكنه لم يمد الينا يوما يدا بسوء .. ثم جاءنا ابناء الدول الكبرى .. ابناء العالم المتحضر قبل عدة قرون ، واخذوا يستلون سواعدنا الشابة وهي تعانق الطبيعة في قلب الغابات ، ويدفعون بها الى هناك ، وراء البحر والغربة لكي تكسر الحجر وتمضغه في الوقت نفسه .. وبعد قرن واحد من الزمان جاءوا لكي يجثموا على صدورنا هذه المرة ، لكي يستلوا اثداء امنا الخصبة من افواهنا .. لكي يستلبوا منا كل ما منحتنا اياه الشمس .. وها هم يجيئون للمرة الثالثة، ولكن من خلال هيئة دولية ، لكي يضعونا في فم الشمس .. ولكن هيهات.. نحن اصدقاؤها منذ عشرات القرون ولا اعتقد انها تقتل اصدقاءها ..

الانكليزي (وكأنه لم يلتفت لحديث الاوغندي) بالنسبة لافريقيا يمكن ان نمدها بما يفيض عن حاجتنا من مؤن وخدمات ..

السكرتير انهم لا يريدون هذا .. ان ما نهدف اليه هو ايجاد المكان الاكثر حصانة تجاه الموجة الحرارية المتزايدة .. المكان الاكثر قدرة على المقاومة ..

الامريكي اننا ونحن نسعى لانقاذ العالم لا يمكن ان نمارس خطيئة قتل حضارته في الوقت نفسه ..

السكرتير كيف ؟

الامريكي ان كل دولة او امة تملك قدرة معينة على الاستيعاب ، فاذا ما حملناها اكثر من طاقتها فانها ستنفجر .. ان اكثر الدول تحضرا اليوم هي تلك التي ستقع عليها مهمة استقبال وايواء واطعام و.... و.... و.... ملايين بل مئات الملايين من ابناء الشعوب والدول الاخرى .. وسيكون هذا فوق طاقتها .. إنها ستنفجر بما حشر في جوفها ، وسيفقد العالم اثمن ما يملك .. انني ارفض اجراء كهذا وانني لا استطيع ان اذهب اكثر من المدى الذي ذهب اليه المندوب الانكليزي .. ان نمد بقية الامم والدول والشعوب بما يفيض عن حاجتنا من مؤن وخدمات وخبرات .. واعتقد ان ما سيفيض سيكون باعثا على الامل .. ثم انني اضيف ان تقدمنا التكنولوجي سيكون في خدمة هؤلاء .. اننا سنؤمم هذا التفوق العظيم من اجل انقاذ البشرية جميعا ، واسعادها كذاك ..

السكرتير هذا مجرد امل .. مجرد حلم .. والواقع يتطلب شيئا آخر ..

الامريكي ان امكانياتنا التكنولوجية عظيمة ايها السكرتير ، واننا قد تعودنا سواء في اوقات الرخاء والسلم ، ام الشدة والحرب ، ان نغدق معوناتنا على المحتاجين..

الاوغندي ليس بدون ثمن ايها المندوب ..

الامريكي تحرير العالم ..

الباكستاني وما الذي ستبقونه لروسيا ؟

الروسي ليس هذا وقت اثارة الحساسيات القديمة .. لقد شهد مؤتمر هلسنكي تتويجا لسياسة الوفاق ، ولن ترجع عقارب الساعة الى الوراء ..

الباكستاني على العكس .. نريد ان يمضي الوفاق الى غايات ابعد من تبادل القمح والزيت ، ومن تحديد فاعلية الاسلحة الذرية والصراع الستراتيجي ، وتنمية خبرات الفضاء.. غايات تستهدف تقسيم العالم الى مساحات عمل ، بعضها تتولونه انتم لتحريره من الاستغلال الطبقي ، وبعضها الآخر تتولاه امريكا لتحريره من الجهل والجوع والمرض .. والنتيجة في كل الاحوال هي التحرير..

الروسي لقد تم الاتفاق على ما هو ابعد من هذا – اذا شئت – لكننا لسنا في مركز يتيح لنا طرح كافة التفاصيل ..

السكرتير دعنا من سياسة الوفاق الآن .. وبدلا من ذلك .. هل بامكاننا ان نتعرف على وجهة نظر دولتكم في الحلول الواجب اتخاذها لمجابهة الكارثة التي ألمت بالعالم ؟

الروسي بكل تأكيد .. ولكن هل تعتقد ايها السكرتير ان منابر الخطابة هذه يمكن ان تحل أية مشكلة كبيرة على الاطلاق ؟

السكرتير (بغضب مكبوت) انك تعلم ولا ريب اننا ما جئنا هنا لكي نخطب .. ما جئنا لكي نستعرض قدراتنا البلاغية ، ولكننا جئنا لكي نسهم في طرح الحلول الملائمة لمجابهة الكارثة .. انك وبقية المندوبين تمثلون دولا بعضها يقف في مركز القيادة لتاريخنا المعاصر هذا .. وانا لا اعتقد بان حكوماتكم ارسلتكم لكي تتلهى بكم كما يتلهى الملوك والاباطرة بقطع الشطرنج ..

الروسي (بغضب هو الآخر) لم اقصد الى هذا ايها السكرتير .. وكل ما اردت ان اقوله انه احرى بالشعوب ان تحل مشكلاتها بنفسها ..

السكرتير او لا تمثل انت شعوب الاتحاد السوفييتي ؟

الروسي بكل تأكيد ..

السكرتير فلماذا لا تكون وجهة نظرك تعبيرا عن ارادة هذه الشعوب ؟

الروسي (وقد أُحرِجْ) ان الشعوب لا تعبر عن نفسها من خلال هيئات دولية يعشش في اروقتها عفن البورجوازية وروتين البيروقراطية العتيق ، وتتخفى وراء كواليسها مؤامرات الامبريالية ..

السكرتير ولكن دولتك وافقت على الاسهام في نشاطات هذه الهيئات ، بل في تأسيسها ..

الروسي التأسيس شئ آخر .. بكل معنى الكلمة ...

السكرتير (غير ملتفت اليه) ثم ان دولتك ارسلتك الى هذه الهيئة لكي تفعل شيئا ، ولا اعتقد انها تفرط باحد مواطنيها فتقذف به حيث يعشش العفن وتحاك المؤامرات ..

الروسي لابد من الحضور .. ان كشف الاساليب التآمرية هو جزء اساسي من خطتي، من الواجب الذي أُلقيَ على عاتقي .. لا يمكن ان نترك الشعوب الضعيفة تحت رحمة المستعمرين الجدد ، ولن نسمح لهذه الهيئة ان تغدو اداة بيد هؤلاء ..

الاوغندي (بابتسامة ساخرة) ولكن قل لنا يا مستر بوشكوف من هم هؤلاء المستعمرون الجدد ؟

الانكليزي (لجاره الفرنسي) لقد ادينا دورنا كمستعمرين قدماء ثم ها نحن نحيل انفسنا على التقاعد ، لا رغبة منا ، ولكن لافساح الطريق امام من هم اقدر منا ..

الفرنسي ولكننا لا نزال نلمس منكم بعض النشاطات على المستوى الجديد ، هنا وهناك ..

الانكليزي انتبه .. ان المستر بوشكوف لا بد وان يجد الطريقة التي يتخلص بها من احراج المندوب الاوغندي .. ان قاموسهم ملئ بالتحليلات التي تمكنهم من الخروج من مآزق كهذه .. انها الاستراتيجية والتكتيك ..

الروسي (كما لو يواصل كلاما كان قد بدأه منذ قليل) ثم اننا لسنا نحن الذين نحدد من هم الامبرياليون .. ان حركة التاريخ المشبعة بالتناقضات هي التي تمارس هذا التحديد .. اننا قد نقع في الخطأ .. لكن منطق الحركة التاريخية لا يمكن ان يخطئ ..

السكرتير ولكن كيف تقاتل قوما لا تقدر على تحديدهم ؟

الروسي لم اقل هذا أبدا .. انه بمجرد ان يقول التاريخ كلمته ، نتحرك نحن في ضوء معطياته لاخذ مواقعنا في صميم الحركة نفسها ..

السكرتير وهل يستطيع التاريخ ان يقول لنا اليوم كلمته ويشير الى المستعمرين الجدد؟ يحددهم لنا ؟

الروسي (وقد احرج) ليس الامر بهذه السهولة ايها السكرتير ..

الباكستاني اذا تركنا مسألة التناقضات جانبا ، ويجب ان نتركها والا هلكنا جميعا ونحن نجابه التناقض الاكبر بين العالم كله والحريق الذي يقترب لالتهامه .. اذا تركنا هذه المسألة ، عدنا ولا ريب إلى النقطة الاخطر والاهم .. النقطة التي اجتمعنا من اجلها .. ما الذي يتوجب ان نفعله لمجابهة الكارثة ايها السكرتير ؟

السكرتير هذا يعود اليكم اولا واخيرا .. اننا وفي مثل هذه الحالة نتلقى مشروع قرار ما ثم نصوت عليه ، بعد ذلك تبدأ عملية التنفيذ ..

الباكستاني لقد طرحت في بدء هذا النقاش وجهة نظري ، وزادها المندوب الفرنسي المسيو جاك وضوحا وتحديدا وايدها المندوب الاوغندي .. ها نحن نمثل ثلاثة اصوات من مجموع ستة ، ولا ريب ان صوت السيد السكرتير سيرجح الكفة التي سيصوت الى جانبها .. اللهم الا اذا استخدمت احدى الدول الكبرى حق النقض ، ولا اعتقد ان حقا كهذا سيستخدم في السلب والعالم كله مقبل على الكارثة عما قريب ..

السكرتير أما انا فاضم صوتي الى اصواتكم .. فما رأي المندوبين الآخرين ؟

الامريكي استخدم حقي في النقض .. (يصرخ) فيتو ...

السكرتير (منفعلا) والمندوبان الروسي والانكليزي ؟

الانكليزي ما دام المندوب الامريكي قد استخدم حقه في النقض فلم يعد ثمة مبرر على الاطلاق لاخذ اصواتنا ..

الروسي إن قضية خطيرة كهذه تهم شعوب العالم جميعا لا يمكن ان تحل بهذه البساطة .. وعلى اية حال فليس لدى حكومتي ، كما لم يكن دائما ، اية رغبة في الوقوف بوجه المحاولات الجدية لحل المشكلات الدولية .. لكنه سبق السيف العذل ، كما يقول المثل ، واستخدم المندوب الامريكي حقه في النقض .. للاسف الشديد ..

السكرتير (وقد ادرك ابعاد اللعبة وانه قد جرد من كل حيلة ، يقول بصوت يابس) ترفع الجلسة .. على ان تستؤنف ثانية بعد ثلاثة ايام ..

المندوبان (الباكستاني والاوغندي معا) ولكن العالم سيحترق ايها السكرتير ..

(يغادر السكرتير القاعة دون ان يجيب .. تنزل الستارة والمندوبون منهمكون في تجميع اوراقهم والاستعداد لمغادرة المكان ....)

الفصل الثالث

(ظهيرة اليوم نفسه ...)

(احدى قاعات المرصد الكبير المقام في قرية مجاورة لنيويورك. يبدو بوضوح حشد كبير ، معقد من الآليات والاجهزة الميكانيكية والكهربائية والعقول الالكترونية، بعضها منسق بشكل دقيق ، وبعضها مبعثر هنا وهناك .. في الزاوية اليمنى ينتصب جهاز تليسكوب ضخم تبدأ فتحته السفلى في الجهة القريبة من حافة المسرح والى جواره لوحة الكترونية ترتسم عليها بين الحين والحين ، وباضواء متغيرة الالوان ، خطوط بيانية وارقام ومعادلات .. الى آخره ..

عندما تفتح الستارة نشهد داخل القاعة ثلاثة من العلماء الذين لا يبدو عليهم اهتمام كاف بملابسهم وبمنظرهم عموما ، يقف احدهم قبالة اللوحة الالكترونية ، ويحدق الآخر في فتحة جهاز التلسكوب الكبير محركا اياه ذات اليمين وذات الشمال .. اما الثالث فيجلس الى مكتب قد تبعثرت فوقه الاوراق ، يدون بعض الارقام والمعادلات ..)

البروفيسور فاولي (رئيس المرصد ، يرفع رأسه من بين الاوراق) هل من اشارات جديدة يا دكتور شرودر ؟

دكتور شرودر (بيأس وهو يحدق في اللوحة) لا جديد ..

مستر هول (وهو يبعد وجهه عن التلسكوب) اللعنة على هذا الوهج الذي يكاد يأتي على عيني .. موجات اثر موجات لا تكاد تنقطع .. ليس بمقدورنا ايها البروفيسور ان نواصل متابعتنا وهذا الشيطان يمنعنا من الرؤية الحقيقية ..

فاولي ولكنها اجهزة التعتيم والفرز الضوئي الجديدة ، لابد انها تعينكما على متابعة التغيرات الضوئية في الاقل .. اننا بمجرد العثور على تفسير مقبول لهذه (التغيرات) نضع ايدينا على المفتاح وتتأكد لدينا نسبة اقتراب الشمس ، ومدى تحركها وزاوية هذا التحرك ، والنقطة التالية التي ستزحف اليها .. كما انه ستتحدد لدينا المقادير الكمية للحرارة التي ستتلقاها كرتنا الشقية هذه (يضرب بقوة على كرة ارضية صغيرة تنتصب امامه فتدور بسرعة) .. لم يعد يفيدك هذا اللف ايتها اللعينة ، ضاعفي عدد دوراتك ما شئت فانك ستقعين فريسة للشمس قريبا .. ان استطعت ان تغيري طبيعة الدوران الى هروب افقي في فضاء الكون الرحيب .. فهيا.. هيا ..(يضرب بها مرة اخرى وهو يقهقه ...)

شرودر ها هي اللوحة العتيدة ايها البروفيسور تعطي الاشارة الخضراء مباركة تمنياتك..

هول (وهو يشير الى التلسكوب) لم تمارس خيانتي ايها الصديق العزيز وانا اعمل معك طيلة ثلاثين عاما .. أفيمكن ان تخونني اليوم ؟

شرودر كيف ؟

هول انه لا يمنحني منذ يومين رؤية حقيقية للموقف الكوني في فضائنا القريب ..

شرودر لعلها الحرارة المتزايدة ؟

هول (بثقة) انه محصن ضدها بما فيه الكفاية ..

شرودر أوه .. لقد تذكرت .. الوهج ..

هول بالضبط .. يا له من ماكر عنيد ومخادع لا يكف عن المناورة ..

شرودر والتحصينات الجديدة التي جاءتنا فجر هذا اليوم ؟

هول ليذهبوا بها الى الجحيم .. انها لم تستطع التغلب على هذا الابليس .. دكتور شرودر..

شرودر نعم يا مستر هول ..

هول تنتابني احيانا حالات مركزة من اليأس والحزن واتمنى لو اترك هذا المرصد واهرب الى مكان بعيد .. ثلاثون سنة وانا اعمل هنا بثقة كاملة واعتقاد راسخ لا شك فيه ، اننا نستطيع ان نقبض من هنا على زمام الرؤية الكونية في فضائنا القريب على الاقل .. واننا سنحقق في يوم بعيد او قريب المعجزة الاكبر والاخطر ، وهي ان نمد رؤيتنا الكاملة الى مجموعات شمسية اخرى .. يا له من حلم عظيم .. ان الرؤية التامة هي البداية الحقيقية لكل انجاز علمي .. ولكنني اليوم اشعر بيد هائلة تعصر قلبي بقوة لا ترحم .. انني اكاد اختنق يأسا وارهاقا .. ليتكم تمنحونني اجازة عابرة لمدة يوم او يومين .. ليتكم تفعلون ..

شرودر والعالم الذي يحترق ؟

هول اعرف هذا جيدا ، ولكنني اعزي نفسي بالاحلام .. لقد فرضت علينا الاقامة الاجبارية هنا منذ عدة ايام ، ولا ندري كم سيطول بنا المقام .. ولولا نسمة من امل لتمنيت ان تسرع الشمس .. ان تحث خطاها اكثر .. لتخليص البشرية المنكودة من هذا الرعب وهذا العذاب ..

شرودر لست انت الذي يقول هذا يا مستر هول .. ايها الصامد في المواقع الامامية لاخطر معركة يجتازها تاريخ العالم ..

هول حقا اننا نقف اليوم في الخط الامامي ، وليست جيوش العالم كلها بقادرة على ان تفعل اليوم شيئا ولكن حتى نحن فاننا لا نستطيع ان نفعل باكثر من المراقبة والتفسير ..

(يغادر شرودر القاعة)

فاولي (يرفع رأسه من بين الاوراق) بل ان هنالك من يستطيع ان يتقدمنا بخطوات واسعة الى الامام لكي يعسكر في مواقع اكثر عمقا ونأيا .. لكنهم مساكين لا يقدرون دورهم حق قدره ، ويؤثرون دائما ان يتسولوا في الخطوط الخلفية ..

هول من ؟

فاولي رجال الدين

هول الدين .. نعم اما رجاله فلا .. ما اكثر ما يثيرون قرفي واشمئزازي .. لقد سبقتني ايها البروفيسور فوصفتهم بالمتسولين .. حقا لقد كان بمقدورهم ان يصبحوا شيئا آخر غير هذا ، شيئا يختلف بالكلية .. اذن لتقدموا اليوم فعلا لكي يأخذوا مواقعهم هناك .. عند تخوم العالم .. ان البشرية وهي تجابه اليوم ازمة مصيرها الرهيبة ، لن يعزيها ويمكنها من المقاومة الا رجال يعرفون حق المعرفة ما الذي تعنيه كلمة الله في ايام كهذه .. لكن هؤلاء المتسولين .. لا .. انهم لا يستطيعون ان يفعلوا شيئا .. على العكس .. اننا اذ نقف ببطولة لمجابهة الكارثة وتحليل ابعادها ، علنا ، رغم الظلمة الكثيفة المحيطة بنا من كل مكان ، نعثر على صمام الامان الذي يمكننا من حماية العالم والخروج بحضارته من المأزق .. نجد هؤلاء المتسولين يتحركون في الخطوط الخلفية لكي يثبطوا عزائمنا ويتاجروا بالاضاليل والخرافات.

فاولي (وهو ينظر الى بعيد) مستر هول !!

هول نعم ..

فاولي اننا اصلح منهم للقيام بهذه المهمة العظيمة !!

هول أية مهمة هذه ؟ او لسنا نقوم بها فعلا ؟

فاولي ان نكون رجال الله .. ولا اقول الدين !!

هول وهل بمقدورنا ان نمارس مهمة مزدوجة كهذه ؟

فاولي (بنفس النظرة البعيدة) ومن قال لك انها مزدوجة .. أليسوا هم اولئك المتسولون انفسهم الذين يحلو لهم دائما ان يقسموا مساحات العالم وان يفصلوا بين جوانب الحقيقة ويقيموا الجدران العازلة هنا وهناك ؟ ما هو الدين يا مستر هول

وما هو العلم ؟ أليسا هما في نهاية التحليل البحث عن الحق واعتناق معطياته في مجابهة الجهل والخرافة ، انه القنديل الاخضر يا مستر هول .. القنديل الاخضر .. تحرق فيه زيت العلم فيمنحك شعلة الايمان الخضراء .. مستر هول!!

هول نعم !!

فاولي اذا اردت الحق .. فانه يتحتم علينا اليوم ان نشعل هذا القنديل ، ونحن نتحرك عبر ظلمات مخيفة لا نكاد نتبين خطانا فيها .. اننا بزيت العلم وشعلة الايمان سنقدر ، ليس على تبين طريقنا فحسب ، ولكن على مواصلة الطريق ببطولة وشجاعة حتى النهاية .. ومن يدري ؟ فلعلنا سنعثر هناك ، عبر الطريق الطويل، على سر المأساة، فنجنب البشرية كارثة محققة .. من يدري ؟

هول (في حالة من التأثر البالغ) اذا اردت الحق .. فانني منذ ثلاثين سنة يا بروفيسور فاولي اعبد الله ..!!

فاولي أين ؟

هول هنا .. عبر هذا التلسكوب الكبير .. انه المكان الحقيقي لمعرفة الله .. لطالما مارست صلاتي فيه .. وطيلة عشرين سنة سبقت هذه المعايشة التي مكننتي من مواصلة الطريق .. طيلة عشرين سنة وانا اروح واغدو الى الكنائس ، حيثما حط بي مطاف الاسفار .. ولكنني لم اجد الله هناك .. لم اجده هناك ...

فاولي أترى هذه اللوحة الالكترونية ؟

هول بكل وضوح ..

فاولي (وهو يغادر منضدته ويتجه لكي يقف قريبا منها) ان جميع اسلاكها وبطارياتها واضوائها تعمل معا .. ولو حدث وان احترق سلك او استنزفت بطارية ، او انفجر مصباح ، فلا اقول انها ستكف عن العمل ولكنها ستؤديه بشكل منقوص..

هول بكل تأكيد ..

فاولي (وهو يعبر بالنظرة نفسها) فلماذا لا نجعل كل اسلاك وجودنا البشري وبطارياته ومصابيحه تعمل معا ؟!

هول كيف ؟

فاولي بجمرة القلب وخفة العقل وتوخز الاعصاب وكدح الجسد ومطامح الروح العليا يمكن ان نصل حالة التوافق العظيم .. ليس مع انفسنا ومجتمعاتنا فحسب .. بل مع العالم والكون .. ان قمة التوافق العظيم تتحقق يوم ان تعمل طاقاتنا جميعا ، وهي تدفعنا في رحلة الحياة الخصبة الطويلة الى آفاق الحقيقة الكبرى .. ان الله هو هذه الحقيقة يا هول ، وان الدين الحقيقي .. الدين الجاد ، لا دين الخرافة والتسول ، هو هذه الدعوة لتحقيق التوافق العظيم .. هول ..

هول نعم ..

فاولي انني لم اكره شيئا في حياتي قدر كراهيتي الالحاد .. انني احتقره .. أتدري لماذا؟ لانه الحماقة الكبرى التي يمارسها الانسان في حياته انه يختار بنفسه ان يحرق عددا كبيرا من اسلاك وجوده وبطارياته ومصابيحه ، ثم يعتقد بعد هذا انه سيواصل الرحلة باكبر قدر من الطاقة .. كلا .. انه الخروج عن التوافق .. ان هذا العمل حري بالجهلاء ..اما العلماء .. فلا .. لا ..

هول ولكني – اذا سمحت – لم اسمعك تؤكد على هذه المعاني من قبل ..

فاولي كانت تعتمل في صدري منذ عشرات السنين .. واليوم اجدها تتكشف لي عن بداهات مضيئة حتى اعماق الاعماق .. وانني اكاد اجن نشوة وفرحا .. انه التوافق العظيم .. لقد قررت ان اشعل المصباح الاخضر .. استطيع ان اقول لك يا هول ان العلماء هم اقرب الناس الى الله .. انها مجرد ضربة .. ضربة تنبثق في انفسهم ، او في العالم المحيط بهم ، فاذا بعقولهم المتألقة تقودهم مباشرة اليه (ينظر الى البعيد وهو يبتسم بهدوء) قد تقول ومعادلاتك الرياضية المعقدة، وارقامك المتراكمة هناك فوق المكتب ؟ من لها ؟ واجيبك بانني ساتجه اليها الآن هذه اللحظة، ساعيا لحل رموزها بذهن اكثر توقدا وقلب اعمق احساسا بالحقيقة، وروح اشد خفقانا .. انني وانا اتجه اليها اشعر وكانني ذاهب لاداء الصلاة ..

هول (بتأثر) اما انا فساذهب اليه (يشير إلى المرصد) لكي اصلي هناك !!

(يتجه كل منهما الى مكان عمله .. يدخل شرودر)

هول (ملتفتا) ماذا وراءك ؟

شرودر لقد التقيت قبل قليل باحد اعضاء فرقة الاعلام في القاعة المجاورة فسلمني رسالة برقية كانت قد وصلته قبل قليل تتضمن اشارة الى ان مرصد موسكو اخذ يعاني هو الآخر من فوتونات الوهج الشديد التي تتدفق باستمرار والتي تحجب الرؤية الدقيقة للفضاء القريب ..

هول ها قد عمت المصيبة .. اننا اذن لسنا وحدنا الذين نعاني من هذا الغموض .. وهل طلبت منهم اعلام المرصد المذكور باننا نعاني ايضا من المشكلة نفسها ؟

شرودر بالضبط .. وانني اتوقع ان تصلنا برقيات متتالية من المراصد الاخرى في العالم .. واننا سنكون حينذاك امام احدى اثنتين .. فاما ان يكون هذا الوهج الذي يبدو انه سيلف فضاء كرتنا الارضية من اقصاه الى اقصاه .. ايذانا بقدوم الزائر الرهيب .. واما (يتأمل قليلا) ..

هول هل من احتمال آخر ؟

شرودر ان تسعة وتسعين بالمائة من الاحتمالات تؤكد ان هذه الموجة الحرارية التي تغمر العالم ما هي في نهاية الامر الا النتيجة الطبيعية لاقتراب الشمس .. هذا ما اجمعت عليه المراصد .. ومن خلال هذا الاجتماع نشرنا الخبر في العالم لكي تتحرك المؤسسات الكبرى فتتخذ الاجراءات الوقائية اللازمة .. وبالمناسبة ، فانني تلقيت في قاعة الاعلام – كذلك – نبأ مفاده ان مجلس الامن الذي انعقد صباح هذا اليوم قد اخفق في اتخاذ قرار حاسم ، وان بعض الدول طرحت مشروع قرار عملي ومناسب .. ولكن دولة كبيرة استخدمت ضده حق الفيتو ..

هول (ضاحكا) لابد انها موسكو ..

شرودر كلا .. بل (مشيرا الى الجنوب) واشنطن !!

هول لابد ان في الامر سرا ..

شرودر ليس ثمة ضرورة لوجود سر وراء مهزلة النقض هذه .. لقد تعلموا ان يلعبوا هذه اللعبة في كل اجتماع ..

هول ولكنها هذه المرة تعني شيئا .. لا يمكن ان تقف امريكا ضد قرار يسعى الى حماية العالم .. بهذه الصراحة ؟!

شرودر مهما يكن من امر فقد اعلن الساسة بفشلهم هذا عن الافلاس ..

هول (مبتسما) وخلال غيابك كشفنا ، انا والبروفيسور فاولي ، عن افلاس جماعة اخرى..

شرودر من ؟

هول رجال الدين ..

شرودر ولم يتبق في الميدان سوى العلماء .. اية مهزلة ستكون لو حدث وان تبين خطأ تحليلهم لاسباب هذه الموجة الحرارية الرهيبة ؟!

هول ولهذا فانه يتحتم على العالم من اجل ان يواصل مهمته بنجاح ان يكون مؤمنا وسياسيا في الوقت نفسه .. يبدو ان هذه الكارثة ستعلمنا كيف نرفض عصور تجزئة الاختصاص .. لن يكون بعد اليوم سياسيون فحسب ، او علماء فحسب، او رجال دين فحسب ، ان العالم يحتاج اليوم ، وقد بلغ هذا القدر من التعقيد والتقدم، الى طائفة من الرجال الكبار يعرفون كيف يجمعون بين القدرات الثلاث في وحدة متجانسة لا يصدها شئ عن المضي الى هدفها .. انه بالقنديل الاخضر سنتغلب على الكارثة ..

شرودر القنديل الاخضر ؟

هول نعم يا دكتور شرودر .. هذا ما اقنعني به البروفيسور .. أتراه هناك وهو غارق حتى شحمة اذنيه في اوراقه ومعادلاته ؟

شرودر وانني لالمح على وجهه ابتسامة رضى ما كنت المحها قبلا ..

هول ذلك هو القنديل الاخضر .. لقد كان من قبل يعمل عقله فحسب ، اما اليوم فانه يعمل عقله وقلبه معا .. أتدري ما الذي يعني ان يعمل العقل والقلب معا ؟ ان يجعل كل طاقاته تعبر عن قدراتها من خلال علاقة تناسبية محكمة تماما كما تعبر لوحتك الالكترونية هذه عما يجري في صفحة الكون القريب بلغتها الخاصة ..

شرودر ولكنه الخوف من طغيان العاطفة يا هول ..

هول طغيان العاطفة ؟ كلا يا عزيزي شرودر .. ان هذا قد يحدث في عالم الاقزام اما العمالقة (يشير إلى فاولي) فلا .. أتدري ؟

شرودر ماذا ؟

هول انك وانت تقود سيارتك لابد وان تحقق نوعا من التناسب بين دفعات الوقود ومبدل السرعة .. أليس كذلك ؟

شرودر بكل تأكيد ..

هول ولو حدث وان اعطيت مقدارا اكبر من الوقود دون ان تبدل السرعة نفسها فان هذا لن يمنح سيارتك حركة اكبر ..

شرودر بـالعكس .. فانـه سـوف يصـيبها بـاذى اذا مـا حـدث ان تكـرر .. فقـد يـدمر ماكينتها..

هول هذا ما اردت ان اقوله بالضبط .. فمن يفعل هذا ؟

شرودر الجهلاء الذين لم يتمرنوا على السياقة بما فيه الكفاية ..

هول وهكذا فان رجلا كالبروفيسور لا يمكن ان يفقد التوازن .. لا يمكن ان يعطي شحنات من وقود قلبه تفوق كثيرا شحنات عقله الكبير .. انه قدير دائما على تحقيق التناسب الدقيق بين القلب والعقل .. ومن ثم فهو يندفع دائما بسرعة اكبر بكثير من سرعة الذين يستعملون جهازا واحدا فحسب مما منحهم الله اياه .. او يفقدون القدرة على السيطرة فيسمحون لجهاز ما ان ينشط بشكل اكبر بكثير من الاجهزة الاخرى .. (ينظر متأملا) .. دكتور شرودر ..

شرودر نعم يا مستر هول ..

هول الآن بدأت ادرك جانب الاعجاز والعظمة في شخصية الانبياء ..

شرودر كيف ؟

هول انهم هم الآخرون حقّقوا التناسب الموزون بين وقود قلوبهم وشحنات عقولهم .. ومن ثم قدروا على تحقيق تلك المعجزات الكبرى في تاريخ العالم .. وقطعوا في سنين معدودات مسيرات طويلة كان غيرهم من الزعماء بحاجة الى عشرات السنين لقطعها وربما لم يقدر لهم الوصول ابدا ..

شرودر كنت دائما اتساءل كيف قدر لأولئك الرجال ، مبعوثي الله الى العالم ، ان يحققوا ذلك الذي حققوه ؟

هول وهكذا يتبين لنا كيف ان العلماء هم اشقاء الانبياء ، كل يعمل وفق طرائقه الخاصة، ولغته المستقلة ، ولكن المنهج والهدف .. هو نفس المنهج والهدف .. الكشف عن سر النواميس من اجل معرفة الله والخلق والعالم ..

شرودر ولكن هنالك من العلماء من يرفض الايمان بالله ..

هول هؤلاء قلة على اية حال ، ولابد لكل قاعدة من استثناء ، ولكن اذا ما سألتهم كيف قدر لهذا العالم ان يواصل مسيرته الكبرى بانتظام عبر ملايين السنين وملايين التوافقات المعجزة ، الدقيقة ، المحيرة ..

شرودر قالوا انها الطبيعة ..

هول بالضبط .. ويضعون انفسهم في الطريق المسدود ، انه لابد من منظم وضابط ما دام ان هنالك ضبطا وتنظيما .. انه لابد من فاعل ما دام هنالك فعلا .. ولا يمكن لهذه القوة ان تكون عمياء لا تملك فكرا .. لا يمكن بحال ..

شرودر ولكن ماذا لو اقتربت الشمس فعلا ، واختل نظام مجموعتنا الشمسية هذه .. الا يأتي هذا تعزيزا لوجهات نظرهم ؟

هول (بثقة بالغة) أتريد الحقيقة يا دكتور شرودر ؟

شرودر حبذا ..

هول انني بدأت اشك في معطيات المراصد هذه !!

شرودر ماذا ؟!

هول لانها قد تخطئ وقد تصيب .. اما نظام الكون ونواميسه فلو انها كانت عرضة لاي خطأ ، يوما ما ، عبر آلاف الملايين من السنين الضوئية .. اذن لكان بناء السموات والارض قد انهار منذ زمان بعيد .. انني بدأت اشك ومن يدري ؟ (فاولي يرفع رأسه من بين الاوراق ، يسدد اليهما نظرة متمعنة بوجه يطفح بشرا وسرورا .. ثم ما يلبث ان ينهض ..)

فاولي دكتور شرودر .. مستر هول (يقترب منهما) لا اريد ان اؤكد لكما النتائج الخطيرة التي اخذت تتكشف لي من خلال تحليلي للمعادلات التي نظمها جهاز الكومبيوتر بعد تسلم معطياتها الاولية من جهازي الرصد واللوحة الالكترونية .. لقد كنت دائما اكره الحسم والجزم والقطع في ميدان العلم الرحيب .. ميدان الاحتمالات التي تتأرجح احيانا كالبندول ذات اليمين وذات الشمال .. ولكن ما بدا انه اخذ يتكشف لي خطير للغاية .. انني ايها العزيزان اعاني الآن لحظة من اخطر واسعد لحظات حياتي على الاطلاق .. انني لم احس يوما بهذا النقاء الذهني الذي يصل حد التوقد ، واعذراني اذا تحدثت عن نفسي ، اما قلبي فانه يتوهج واني اكاد المس حر جمراته بيدي هاتين .. صدقاني اذا قلت لكما ان المعادلات الصعبة التي استعصت علي طياة الايام الماضية بدأت تلقي الي بزمامها وتكشف لي عن محصلاتها النهائية ببساطة عجيبة هي اقرب الى الاعجاز .. انني احس وانا اسبر اغوارها ان هنالك قوة اخرى .. قوة اكبر بكثير من قوتي الضئيلة المحدودة .. تعينني وتأخذ بيدي لكي ادل البشرية على الخطيئة التي وقعت فيها .. الخطيئة المزدوجة ..

هول تلك هي قوة الله يا بروفيسور فاولي ..

فاولي (بتأثر) تباركت قوة الله ..

شرودر لكن .. اية خطيئة مزدوجة هذه ؟!

هول قلت لكما انني لا احب الحسم والقطع قبل ان تقودني المعادلات نفسها ، المعادلات التي هي تكثيف مركز لمعطيات اجهزة العلم والكشف .. الى الحقيقة وحينذاك ستريان عجبا !! دكتور شرودر اعطني آخر تقارير لوحتك الالكترونية، وانت يا مستر هول هات ما عندك (يأخذ بعض القصاصات الملأى بالرموز ويتجه الى مكتبه ثانية ...)

(ما نلبث ان نسمع دقات رتيبة لجهاز المكالمة الداخلي .. يهرع شرودر اليه)

شرودر نعم .. ماذا هناك ؟ برقيات اخرى ؟ تأكيدات جديدة من عدد آخر من المراصد ؟ طيب .. هاتوا ما عندكم .. بسرعة .. بسرعة ..

(بعد لحظة ينفتح باب القاعة المجاورة فيسرع شرودر لاستلام رزمة من الاوراق ....)

هول هيا .. اسمعنا ما تقوله هذه البرقيات .. (مخاطبا التلسكوب) لم تبق وحدك في الميدان ايها الصديق العزيز ، ها هم سائر رفاقك يعانون هذا الذي تعانيه ..

شرودر (وهو يقلب عددا من البرقيات ملقيا عليها نظرة سريعة) لندن .. باريس .. طوكيو .. بكين .. بوينس آيرس .. كيب تاون .. سدني .. كلها تؤكد الحقيقة نفسها وتعاني من الشئ ذاته ..

هول (فرحا) الوهج .. اليس كذلك ؟

شرودر بالضبط .. يا لها من ظاهرة محيرة .. ومهما يكن من امر فانها ستمنح البروفيسور ولا ريب دلالات جديدة في محاولته الوصول الى السر الخفي ..

فاولي (يرفع رأسه من بين الاوراق) ماذا وراءك يا شرودر ؟

شرودر (يتجه اليه ويطلعه على البرقيات) انها جميعا تؤكد مسألة الوهج المحير هذا .. انها جميعا تعاني من غموض الرؤية ..

فاولي ذلك ما كنت انتظره ، وها ان الاثباتات الحاسمة قد اخذت تتزايد شيئا فشيئا .. مستر هول ..

هول (وهو يبعد وجهه عن المنظار) نعم ..

فاولي دقق في المنظار جيدا .. وقل لي بالله ، هل ترى بين الحين والآخر ، عبر دوامة الوهج هذه ، ما يشبه حفنات من الغبار التي تدوم على نفسها ، وتتجمع وتزداد كثافة ؟

هول (وهو يدقق النظر) بالضبط يا بروفيسور .. بالضبط ..

فاولي مر الجهاز ان يحول رؤيته هذه الى لوحة شرودر .. بسرعة ..
(يضغط هول على احد الازرار فتشتعل مجموعة من الاضواء والاشارات على اللوحة التي يقف شرودر قريبا منها).

فاولي والآن يا دكتور شرودر .. هل ان الفترة الزمنية لتكون هذه الدوامات الغبارية متساوية تماما ؟

شرودر (وهو يضغط على احد الازرار ويستخرج قصاصة من الورق وينظر فيها) بالضبط ..

فاولي (والابتسامة تتسع على شفتيه) ثانيتان وعشر الثانية ؟

شرودر (يقوم بالعمل نفسه ويستخرج ورقة اخرى) بالضبط .. بالضبط ..

فاولي ونسبة التخلخل الغازي في الامداء ، بين هذه الدوامات ، هل تبلغ عندك واحدا على احدى واربعين ؟

شرودر (يستخرج قصاصة ثالثة) بالضبط .. تماما ..

فاولي (وهو ينهض ضاربا بقبضة يده على المنضدة ، وعيناه مثبتتان على الكرة الصغيرة التي يحركها بسرعة ..) كنت اقول دائما ان الله جل وعلا لا يمكن ان يتركك للصدفة .. دوري ايتها الغالية كما كنت تدورين منذ ملايين السنين .. حول نفسك لكي تهبيننا الليل والنهار ، وحول الشمس لكي تمنحيننا تنوع الفصول .. دوري .. دوري .. لا تخافي ولا تحزني .. فان الذي خلقك يعرف سبحانه وتعالى كيف يحميك من الاذى .. دوري .. فان هذا الذي تعانين منه ليس من الله .. ولكنه منا .. نحن الابناء العاقين .. اغفري لنا خطيئتنا ايتها الام الرؤوم .. لا تغضبي على ابنائك ان عقوك او ضل بهم الطريق .. انهم سيضلون دائما فافتحي صدرك لهم .. واصبري .. فلابد انهم سيؤوبون يوما الى كلمة الله .. وحينذاك .. لن يسببوا لك المتاعب ابدا ..

شرودر وهول (معا) بروفيسور فاولي .. ماذا بحق السماء ؟

فاولي كنت اعرف تماما انه ليس خطأ النظام الذي سنه الله سبحانه وتعالى .. ولكنه خطؤنا نحن .. لقد اردت ان اقول لكما ذلك منذ فترة طويلة ، ولكنني ، كما تعلمت دائما ، لم اشأ ان اقطع .. ان العقل الذي يحترم نفسه ويدرك ابعاد قدراته لا يجزم ولكنه يصبر، لانه بالصبر والتواضع يمكن ان نقطف ثمار المعرفة وهي اكثر نضجا ..

شرودر وهول ارحنا يا بروفيسور .. وقل لنا بالله ما الذي حدث ؟

فاولي (تختفي الابتسامة من وجهه ويحل محلها غضب مخيف) كان يجب ان يقولوا لنا.. ها هم اولاء يتلهون اليوم ليس بمصير العالم فحسب ولكن بعقول علمائه ايضا.. انهم ان استمروا على لعبتهم هذه فسوف يعرضون الحضارة البشرية لمصير مخيف .. انهم بعملهم هذا ينتحرون .. لقد كنت دائما احذر في محاضراتي من طغيان القوة على العقل واقول انه بداية النهاية .. وها هم اليوم يمارسون هذه الخطيئة القاتلة .. لقد تلهوا برجال الدين والسياسة وها هم اليوم يتلهون بالعلماء .. لن اسكت .. وسوف اواصل فيما تبقى لي من ايام على هذه الارض المنكودة جهادا قاسيا ضد هذا الخطأ الشنيع .. ضد هذا اللعب بالنار .. ساخرج من المختبر احمل علمي وايماني .. ومكري ، اذا اقتضى الامر ، لمقارعة هؤلاء الحمقى .. وستكون معي في المعركة الحاسمة عقول العالم كله وقلوبه المؤمنة .. فاما ان تكون الحياة يحكمها العقل والقلب، العلم والايمان معا .. او لا تكون على الاطلاق .. لقد قلت لك يا مستر هول قبل قليل ان عصر تجزئة الاختصاصات قد انتهى ، وان على الرجل المسؤول .. الرجل الذي قدر له ان يتولى مركزا قياديا في هذا العالم .. ان يكون عالما ومؤمنا وسياسيا في الوقت نفسه .. وها انتما تريان ، بام عينيكما ، كيف انهم بعزلنا في هذه المختبرات .. كيف انهم بتحويل رجال الدين الى متسولين ومهرجين ، ورجال السياسة الى قطع على رقعة الشطرنج ، انفردوا وحدهم بالميدان .. وكادوا يعرضون العالم لدمار رهيب !!

شرودر وهول (وقد نفد صبرهما) اننا نجند انفسنا تحت قيادتك .. ولكن ليس قبل ان تقول لنا ما الذي حدث .. بالله عليك يا بروفيسور فاولي ..

فاولي معذرة ايها الاعزاء .. ولكن ألم اقل لكما لحد الآن ؟ لقد جرفتني دوامة الافكار..

شرودر وهول (وهما يبتسمان بنفاد صبر) قلها .. قبل ان تجرفك الدوامة مرة اخرى !!

فاولي (مشيرا الى الجنوب) لقد فجّروا قنبلة هيدروجينية في الفضاء أتدريان كم زنتها؟

(شرودر وهول ينظر احدهما إلى الآخر باستغراب بالغ)

فاولي (وهو يمط كلماته) الف .. مليون .. طن !!

شرودر وهول (يصرخان) الف مليون طن ؟! هيا يا بروفيسور ..

فاولي الى اين ؟

شرودر وهول لكي نكافح معا هذا الطغيان العاتي للقوة قبل ان يفلت الزمام ويضيع المصير..

فاولي **(مبتسما) ولكن ..**

شرودر وهول **ماذا ؟**

فاولي **ليس قبل ان نكافح هذه الموجة الحرارية الرهيبة ونردها على الاعقاب .. هيا ..**

(يرجع الى منضدته واوراقه وهو يشير اليهما ان يتجها الى جهازيهما)

– ستار –

الفصل الرابع

(بعد شهر واحد .. نفس منظر الفصل الاول .. تفتح الستارة فيبدو عبد الهادي مكبا على الاضبارات المكدسة على مكتبه .. والى جواره سعدون وهو يحتسي الشاي ، متسلّما بين الحين والآخر اضبارة من عبد الهادي ومقلبا اوراقها .. المكتبان الآخران لا يزالان فارغين)

عبد الهادي (يرفع رأسه من بين الاضابير) لقد عملتها اذن ؟

سعدون هذا افضل ..

عبد الهادي دون ان تطلع على السر حتى اقرب المقربين !!

سعدون لقد اطلعتني انا على نيتها .. وهذا يكفي ..

عبد الهادي انت ؟

سعدون (بخجل) أو لست اولى بالاسرار ؟!

عبد الهادي يبدو ان ازمة الحر ، والرعب القاتل ، قد اثرت عليك .. فلا بأس ..

سعدون أبدا يا عبد الهادي .. فانني اعني ما اقول ..

عبد الهادي (ضاحكا) دولة كبرى في العالم تطلعك على سرها الرهيب بتفجير قنبلة وزنها الف مليون طن .. اما المزاح فليس هذا اوانه وانت ترى اعمالنا المكدسة .. واما الجنون ..

سعدون (مقاطعا) أية دولة كبرى واية قنبلة ؟؟ انني اتحدث عن سميرة (يشير الى المنضدة الفارغة الى جواره) ..

عبد الهادي (متراجعا) يبدو انني انا الذي امزح !!

سعدون (مستمرا) كان من بين اتفاقات الزواج المسبقة ان تنقطع عن الدوام هنا وان ترجع الى التدريس كما كانت قبل ان تلتحق بهذه الدائرة ..

عبد الهادي وهل وافقت على مطلبك هذا بسهولة ؟

سعدون اقنعتها بان العمل في التدريس هو اكثر الوظائف صلاحية للمرأة بما تملكه من صبر وحنان وبقدرتها على انشاء اعمق الصلات التربوية البناءة مع من تدرسهم .. ثم انني بصراحة ..

عبد الهادي ماذا ؟

سعدون لم اشأ ان تظل بعد خطبتي لها وارتباطي بها عرضة لمن هب ودب .. ان مهمة المرأة الحقيقية ليس في ان تتزين حتى يتلمظ بمرآها الواجدون والمحرومون على السواء .. أكنت ترى الى عيون المراجعين .. كاد بعضهم يلتهمها بعينيه .. أتراني اطيق ذلك بعد زواجي بها ؟ أليست العيون الزانية اشد فتكا لمن يعرف معنى العفة والطهارة والشرف من السكاكين ذات النصول الحادة ؟

عبد الهادي بالضبط ..

سعدون كنت قبل اقدامي على خطبتها لا اكترث بنظرات المراجعين .. ولم يكن ينتابني أي احساس بالقلق وهي تدخل غرفة المدير .. بل إنني عملت انا كذلك على التهامها بعيني اكثر من مرة .. ترى لو ان جميع الذين يشتهون نساء الآخرين ويلتهمونهن بعيونهم ، يفكرون ان عيونا اخرى تمارس السرقة نفسها مع نسائهم .. اما كانوا يكفون عن هذا التلهي القبيح ؟

عبد الهادي ولكن الكثيرين فقدوا هذا الاحساس .. على العكس .. انهم يخرجون بنسائهم واخواتهم متزينات لكي يعرضوا بضاعتهم على الناس ..

سعدون هذا زمن التيوس !!

عبد الهادي ولكن قد يعترض المدير (يشير الى غرفته الموصدة) على طلب النقل بحجة ان دائرة كهذه بحاجة الى العناصر النسائية .. وربما بحجة رفضه القاطع للتفريق بين الرجل والمرأة في وظائف الدولة .. لانها تمثل نصف طاقة المجتمع في الانتاج ، وابعادها عن العمل يعني اصابة هذا القطاع الحيوي بالشلل ..

سعدون ولكنني بينت في طلب النقل انها لن تغادر هذه الدائرة الى البيت بل انها ستعمل في التدريس ..

عبد الهادي وحتى لو آثرت البقاء في البيت .. الا يعد هذا عملا ؟ واذا تحدثنا بمنطق المصالح المادية ، المنطق الذي اكتسح كل القيم في عصرنا هذا .. إذا تحدثنا بهذا المنطق .. ألا يعتبر العمل داخل البيت لتربية الاطفال وتمكين الكبار من مواصلة اعمالهم ، انتاجا ؟ ان هنالك مئات بل الوفا من الشباب المتعطلين .. وان أي واحد منهم قدير على ان يشغل مكانها في هذه الدائرة .. اما في البيت .. واما في المدرسة ، وفي غيرها من المؤسسات التي يمكن للمرأة بطبيعة تركيبها الوظيفي ان تعمل فيها ، فان هؤلاء المتعطلين ليسوا بقادرين على التعويض عن المرأة فيها .. في الحالة الاولى سنضع كل شئ في محله ، اما في الثانية فسيخسر المجتمع مرتين !!

سعدون لا استطيع ان اجهر بهذه الآراء امام المدير .. يكفي ان اقنعه انها آثرت التدريس..

عبد الهادي واذا اصر على عدم النقل ؟

سعدون انني مستعد في هذه اللحظة ان اقدم الاستقالة نيابة عنها وليذهب راتبها الى الجحيم ..

عبد الهادي وهي ؟

سعدون موافقة سلفا على كل خطوة اقدم عليها ..

عبد الهادي حتى ولو كانت انقطاعها عن الوظيفة ؟

سعدون (مازحا) أتريد ان ان احدثك بمنطق الهيام القديم الذي كاد يفقدني اياها لولا نصائحك التي ان انساها ؟

عبد الهادي (باشارات تمثيلية) حدثني يا سعدون !!

سعدون (بنفس الاشارات) انها مستعدة ان تموت من اجلي ..

عبد الهادي وانت ؟

سعدون لتعطني الاشارة .. ولتنظر ماذا سيكون .. أتريد الحقيقة ؟ لقد قضيت اياما صعبة ونحن نعاني من حصار الحر الرهيب ومنع التجول .. وكنت اقول لنفسي هل ستكتب لنا الحياة ثانية ؟ وهكذا .. وفي اللحظة التي زال فيها الكابوس الذي جثم على انفاسنا اسابيع طوالا ، بعثت الى اهلها من يفاتحهم في الموضوع ..

عبد الهادي هذا هو الطريق الطبيعي .. وما عداه فليس سوى عبث لا طائل تحته ..

سعدون الآن استطيع ان اوافقك على ما تقول. وليس من جرب كمن لم يجرب !!

(يدخل عصام .. يحني رأسه لزملائه .. ويتجه الى مكتبه)

عصام لا يزال حديث الناس في الخارج يدور حول اضراب العلماء في عدد من الدول المتقدمة .. انهم يريدون الاسهام في المراكز القيادية لدولهم كي يشرفوا بانفسهم على سياساتها ويشتركوا في صنع هذه السياسات ..

عبد الهادي كان لابد من هذا الموقف الصارم بعد ان حدث ما حدث ..

عصام ولكن الساسة لا يزالون يركبون رؤوسهم ويصرون على أن مكان العالم الطبيعي هو المختبر ، وهم يحتجون على ذلك بان العلماء لا خبرة لهم بشؤون السياسة واتهم قد يفسدونها بنياتهم الطيبة ..

عبد الهادي وهل يملك الساسة خبرة في شؤون العلم ؟

عصام كلا .. طبعا ..

عبد الهادي فلماذا اذن يسعون لامتطاء العلم من اجل تحقيق مآربهم ولا يسمحون للعلماء بان يمتطوا السياسة من اجل ايجاد عالم افضل ؟ أبمقدور البشرية ان تتحمل مرة اخرى اعباء كارثة كتلك التي كادت تأتي علينا ؟

عصام أتسألني انا ؟

عبد الهادي كلا .. وانما هي فكرة تقال ..

عصام انني كمهندس اعرف كيف افيد من خبراتي ليس في قطاع تخصصي فحسب بل ان اسحبها على أي مجال يتاح لي ان اعمل فيه .. ادارة كانت ام سياسة ..

عبد الهادي وهكذا يبدو منطقهم طبيعيا .. ولكنني اشك في انهم سيحققون اهدافهم ..

سعدون (وهو يرفع رأسه من بين الاوراق) لكن المعامل والبحوث والمختبرات ستتوقف، ان لم يكن اليوم فغدا .. ومعنى هذا ان مسيرة التقدم العلمي ستصاب بنكسة خطيرة..

عصام ان الساسة اولى بتقدير هذه النتيجة لا اظن انهم سيتركون الناس تموت جوعا..

سعدون أما كادوا يميتوهم حرا ؟!

(جهاز المكالمات الداخلي يدق .. ويسمع صوت المدير وهو يطلب نائبه عصام .. يتجه هذا إلى غرفته ويدخل)

عبد الهادي أما نحن فقد طعمنا ضد الحر والجوع معا !! هكذا خرجنا من الازمة منتصرين ومطعمين ضد هذين العدوين اللدودين اللذين لا يرحمان .. فليفعل ساسة العالم ما يحلو لهم ..

سعدون الجوع ؟

عبد الهادي أو لم تعان من ويلاته خلال اسابيع منع التجول ؟

سعدون ولكن لحسن الحظ فقد كان لدينا مخزون كبير من الاطعمة .. ثم ان عدد افراد عائلتنا صغير ..

عبد الهادي وماذا بالنسبة للعوائل الكبيرة ؟ ماذا بالنسبة لاولئك الذين لم يكن لديهم رغيف واحد ادخروه ليوم لم يكن في الحسبان ؟ لقد وعدونا بانهم سيتكفلون بتوزيع الطعام علينا لقاء خصم مؤجل من رواتبنا .. ولكن اتدري ما الذي حدث ؟

سعدون ثمة اقوال وشائعات كثيرة تقال ..

عبد الهادي لقد اعطوا الاولوية لكبار المسؤولين .. ثم الذين يلونهم .. وكانت بعض من دوريات سيارات التموين تمر قريبا من دارنا .. وكنا نقول ها هم اولاء جاءوا .. افتحوا الابواب .. ولكن الدورية لا تتوقف بل تمضي الى هدفها ..

سعدون اين ؟

عبد الهادي هناك .. في نهاية الشارع حيث تقبع دار (يشير الى غرفة المدير العام)

سعدون الحق ان الواجدين لا يقدرون دائما ما يعانيه المحرومون .. لقد كان في بيتنا كما قلت لك مخزون كبير ، فلم تكن تهمنا حركة السيارات هذه .. ولكن الجيران كثيرا ما كانوا يحدثوننا عما كانوا يعانونه ، فكنا نعطيهم بين الحين والحين ..

عبد الهادي كانوا يتصورون ان المحنة ستدوم فترة اطول .. ولعلهم قرروا في انفسهم ان يمارسوا هذا الاسلوب في احتكار القوت لكي يكون لهم نفس اطول في مجابهة المحنة ..

سعدون وابناء الشعب ؟

عبد الهادي ليذهبوا الى الجحيم .. انهم في منظورهم اعداء الشعب وليسوا ابناءه .. انها يا سعدون غصة ستبقى في حلقي الى يوم الدين .. الاطفال وهم يعانون من الاختناق والجوع معا .. اذا كنا نحن نستحق عقابا كهذا فما ذنب الاطفال ؟ أليسوا كاطفالهم؟ تلك الحيوانات البريئة الصغيرة التي لا تستطيع ان تعبر عما تريد .. اما اطفالهم فقد كانت علب الحليب المجفف تنهال عليهم بمجرد مكالمة في جهاز التليفون .. انهم يقولون انه غضب السماء على الارض .. وكنت دائما عند رأيي ، انه ليس غضب السماء على الارض ولكنه فعل الانسان .. غضب الانسان على الانسان .. نقمة الانسان على الانسان ..

سعدون ولكن لم كل هذا ؟

عبد الهادي الكبار مزقوا جلودنا باشعاع قنبلتهم الذرية وقالوا انها سياسة .. والصغار مزقوا امعاءنا من الجوع وقالوا انه عدل .. أي عدل هذا ؟! هنالك اشياء يا سعدون لا استطيع ان اقولها لك فان للجدران آذانا كما يقولون .. وليس كل ما يعرف يقال (يشير إلى غرفة المدير)

(يخرج عصام من غرفة المدير وهو في اقصى حالات التأثر والانفعال)

عصام (بصوت خفيض مكتوم وهو يضع كفه على جهاز الانصات) يريدني ان اتجسس عليكما .. الوغد !!

عبد الهادي (معا) من ؟

وسعدون

عصام من يكون غيره ؟ (يشير إلى غرفة المدير) وقال انها ظروف استثنائية ولابد من مراقبة كل صغيرة وكبيرة ..

سعدون (بشئ من الخوف) ولكننا قلنا بعض الاشياء وانتقدنا بعض التصرفات ..

عصام يبدو لي انه سمع كل ما قيل (ثم بصوت اكثر انخفاضا) هل ثمة شئ بالنسبة لسميرة ؟

سعدون (لا يزال خائفا) طلب النقل ..

عصام قال لي انه لن يوافق .. ضرب بيده على المنضدة وقال لن اسمح له بتنفيذ فكرته .. ان عبد الهادي يؤثر عليه بشكل عجيب وسوف اوقفه عند حده ..

سعدون ولكن ..

عبد الهادي (مقاطعا) إما ان يرفض طلب النقل فذلك بمقدوره على اية حال .. ولكن التأثير الذي يتحدث عنه لن تستطيع قوة في الارض ان توقفه !! انه سريان التيار في الارواح ، واليد التي تسعى الى وقف تدفقه .. تحترق !!

عصام خفض صوتك يا عبد الهادي .. ارجوك .. فانه اذ عجز عن شرائي سيسعى جاهدا للقيام بنفسه بهذه المهمة .. انه يملك جهازا ينقل له بامانة كل همسة تقال ..

سعدون فعلام اذن سعى الى اقناعك للقيام بالمهمة ؟

عبد الهادي لانه يريد ان يدنس اكبر قدر من الناس .. ولو استطاع ان يدنسنا نحن الآخرين لفعل ..

سعدون واذا تحولنا نحن الثلاثة الى ادوات بيده فعلى من نتجسس ؟ ممن نسرق الكلمات والافكار ؟

عبد الهادي بعضنا على بعض .. ان الديدان التي تعيش في الحفر الضيقة القذرة .. يأكل بعضها بعضا ..

عصام لن يصل الى هدفه .. اقسم بالله ..

سعدون ولكنه سيبدأ انتقامه برفض نقل خطيبتي وسيرغمني على تقديم استقالتها ..

عبد الهادي لقد قلتها يا سعدون قبل قليل .. انك على استعداد لتقديم استقالة ((سميرة)) ان اصر المدير على الرفض .. لا اعتقد انك ستغير موقفك .. كن رجلا وتحمل مسؤولية كلماتك .. فالكلمات مواقف وهي التي تزن الرجال ..

سعدون ولكنه جهد ثماني سنين من العمل في الوظيفة ، وراتب شهري وحقوق تقاعدية قد تعينني واياها على مجابهة الحياة المعيشية الصعبة .. انك تدري بالجنون الذي اصاب الاسعار هذه الايام .. ناهيك عن السكن والمواصلات .. قل لي بالله كيف يستطيع الموظف ان يجابه حياة كهذه براتب واحد .. راتب هزيل ؟! لقد كانت لحظة انفعال ليس إلا .. ومع ذلك فانني ساواصل النضال ضد رغبة المدير (يخفض صوته) ومن يدري فلعله يوافق اخيرا على النقل ..

عبد الهادي ارفع صوتك يا سعدون فانني لا اكاد اسمع ما تقول .. علام الخوف ؟ ألانك قررت النضال ضد المدير ؟ واذا كان موقف المدير خاطئا من الاساس .. اذا كان موقفه هدما لآمالك واحلامك وسعادتك ، أفلا يعتبر خطأ شنيعا .. ألا يعتبر باطلا ؟ أتتيح لنفسك يوما ان تقف قبالة احلام الناس وامانيهم وتصدهم عن ذهابهم المشروع اليها ؟ ان موقفه باطل من الاساس وان الباطل يجب ان يُقاوَم .. ان لم يكن بالفعل فبالكلمة .. بالصرخة ..

سعدون (بوجه اصفر) هون عليك يا عبد الهادي .. فنحن زملاء قبل كل شئ .. لقد عايشنا وعايشناه في هذه الدائرة سنين عديدة .. نحن جيران .. ولا اعتقد اننا بحاجة لان نتصوره خصما لنا (يرفع صوته مقتربا اكثر من جهاز الانصات) انني على يقين من ان السيد المدير في كل تصرفاته لا يريد الا خيرنا ، حتى تلك المواقف التي يبدو انها تتعارض واهدافنا .. فانها في المدى البعيد تجئ لصالحنا .. ولكننا قصار النظر يا عبد الهادي لا ندرك المرامي البعيدة التي يمد ابصاره اليها ..

عصام (يرفع رأسه من بين الاوراق) من ؟

سعدون السيد المدير ..

(يمد عصام شفتيه علامة الاحتقار وينكب على اوراقه)

عبد الهادي (بسخرية) يبدو انه من طينة اخرى غير طينتنا نحن .. انه تركيب خاص .. أليس كذلك ؟!

سعدون (خافضا صوته) لا اقول هذا ولكنني اعرف (يرفع صوته) انه يملك قدرات كبيرة فعلا..

عبد الهادي (منفعلا) ان الاوثان ما كان ليكون لها تاريخ او وجود لولا ان نصبتموها انتم وطفتم حواليها .. ما كانت ستجد لها مكانا حتى في قواميس العالم ..

عصام دعه يا عبد الهادي .. إذا كان قد اختار هذا الطريق فله ان يمضي فيه حتى النهاية انه على اية حال اختياره ..

سعدون انكما تقسوان علي ..

عصام (مستمرا) ان المسألة مسألة استعداد اولا واخيرا ..

سعدون انا ما قلت شيئا .. كل ما اردت ان اقوله هو انني ساسعى جهدي لحماية مستقبل زوجتي كموظفة ، ولا يمكن ان افرط فيه ببساطة .. ثم انني ..

عبد الهادي (مقاطعا) عندما خيلت اليك محنة الايام الملتهبة ان العالم سينتهي جئت الي تبكي وتقول انك تحتقر ضعفك وكذبك وعجزك ، وها انت اليوم بمجرد اطمئنانك الى دوام الحياة ، تعود الى ما كنت عليه ..

سعدون لن اسمح لك ثانية بشتيمتي .. ولئن صبرت عليك مرة ومرتين فلن اصبر عليك اكثر من هذا ..

عبد الهادي (مخاطبا عصام) انني ارثي لهذا النمط من الناس الذين يسوقهم الخوف الى الاعتراف وطلب المغفرة ، وما ان يحسوا بالامان حتى يعودوا الى شر مما كانوا عليه ..

سعدون قلت بانني لن اسمح لك باهانتي مرة اخرى (يرفع صوته) ان السيد المدير قدير على ان يوقفك عند حدك ..

عبد الهادي ولماذا لا تكون شجاعا .. لماذا لا تكون (انت) فتوقفني عند حدي ؟ لماذا تستعير يد غيرك ؟ أليست لك يد تضرب بها ؟ ولكن مهلا .. فقبل قليل كنت تتحدث عن فكره البعيد .. كنت تعرب عن استعدادك لاستعارة حلوله في اخص ما يمسك .. زوجتك .. ومن يستعر فكر الآخرين يكن على استعداد تام لاستعارة ايديهم ، وارجلهم اذا اقتضى الامر ..

عصام هون عليك يا عبد الهادي ولا داعي لتصعيد المشكلة .. انه ليس بمقدورك ان تصنع سلوكه مرة اخرى .. ما دام قد قرر استعارة قدرات من هم اقوى منه فمعنى هذا انه لا يملك القدرة على ان يكون (هو) ..

عبد الهادي (وهو ينظر الى بعيد) لقد حاولت جهدي ان اجعل منه شيئا ..

عصام فكف عن محاولتك الآن بعد ان تبين لك ما تبين ..

عبد الهادي ساكف يا عصام ساكف .. ولكني ارثي لعجزه .. هذا كل ما هنالك ..

سعدون لا داعي لان ترثي لي .. انا اولى بحالي .. اولى بمستقبلي ومستقبل العائلة التي ساتحمل مسؤوليتها عما قريب ..

عبد الهادي ان الذي لا يتحمل مسؤولية كلماته ، ويبيعها في اقرب لحظة لا يمكن ان يتحمل مسؤولية عائلته .. انه على استعداد لأن يبيعها اذا اقتضى الامر ..

سعدون (بغضب مكتوم) ساعرف كيف استرد حقي (يتجه الى غرفة المدير ويدخل بينما يدخل من الباب الآخر المضيف الذي شهدناه في الفصل الاول).

المضيف قلت امر عليكم لعلكم تحتاجون لشئ ..

عصام أمسافر انت ؟

المضيف بعد ساعة واحدة .. انها نفس الرحلة المؤجلة الى لندن ..

عبد الهادي والمسافرون ؟

المضيف يكادون ان يكونوا هم انفسهم .. مسافرو الرحلة المؤجلة .. الا واحدا او اثنين..

عصام سبحان الله .. من كان يتصور ان المحنة ستزول بهذه السرعة وسيستأنف الناس رحلاتهم الى اقطار العالم .. نفس الناس !!

عبد الهادي كنت اتمنى ان ترياهم .. هناك في القاعة الخارجية لحظة اعلان النبأ الرهيب .. كانت الصفرة تعلو وجوه اكثرهم ، والرعب ينسج على ملامحهم تعابير تتأرجح بين اليأس والمرارة .. واحد او اثنان منهم انساهم تشبثهم بالمال خوفهم ويأسهم ومرارتهم وراحوا يتوسلون بالموظفين ان يعطوهم وعدا جازما بانهم لن يخسروا قيمة تذاكرهم .. لكن اكثرهم ما كانوا يفكرون الا بشئ واحد .. ان هذه الدنيا لغو باطل وانه لا سفر بعد اليوم ..

المضيف وها هم اولاء يعودون ، فرحين مؤملين ، لاستئناف رحيلهم من جديد ..

عبد الهادي وهم في الاجواء العليا ، معلقين على كف القدر كما يقولون ، لا اظن احدا منهم سيتخلى عن شراء قنينة الويسكي بسعرها المخفض حتى وان لم يكن من ممارسيها .. على الاقل لكي يتاجر فيها ، او يقدمها هدية لصديق او مدير (يغمز بعينه) ..

المضيف كثيرا ما كنت اتشاجر مع بعضهم لانهم يصرون على استخدام حقوق اطفالهم في الطائرة ويشترون على عددهم قناني الويسكي هذه ..

عصام لعلها وجهة نظر حديثة في التربية الحرة !!

عبد الهادي ترى هل سيتذكر احدهم انه وهو في اعماق السماء هناك ربما يتعرض ، عبر لحظة ليست في الحسبان ، لحادثة الموت ؟ ان محنتنا مع النار التي كادت تفترس العالم يمكن ان تتكرر في كل لحظة باشكال اخرى .. بمئات الاشكال .. ولكن قليلون هم اولئك الذين يتعلمون !! (الى المضيف) رحلة مباركة ايها الاخ ..

عصام رحلة مباركة .. ولعلك تعود الينا – باذن الله – محملا بتفاصيل جديدة عن ظروف المحنة التي شهدها العالم .. وعن اضراب العلماء الاخير..

المضيف (وهو يغادر الغرفة) هذا اذا قدر لي ان ارجع سالما !!

(يخرج سعدون من غرفة المدير .. تعلو الصفرة على وجهه ، وابتسامة متشنجة معلقة على شفتيه يتجه إلى مكتبه ..)

سعدون (بصوت مرتجف) هنالك تغيرات ادارية اعلمني بها السيد المدير وسوف يخرج بنفسه بعد قليل لكي يطلعكما عليها ..

(يتبادل عصام وعبد الهادي النظرات دون ان يلتفتا اليه ..)

سعدون (بنفس الصوت المرتجف) انه يعرف كيف ينتقي العناصر الممتازة ، وكيف يعتمد عليها .. وفي المقابل .. فانه بمجرد ان يشك باخلاص موظف ما فانه يسعى الى استئصاله .. يقال انه مسنود من فوق .. وان كلمته لا راد لها ..

عبد الهادي (وكأنه يتحدث الى نفسه) طبعا .. اذا كنت انت قد رددت كلماتك بنفسك .. هزمتها بتراجعك .. فاحرى بك ان تستسلم لكلمات الاخرين ، اما الذين يعرفون كيف يصمدون في المواقف التي تلزمهم بها كلماتهم فانه ليس ثمة كلمة في اعتقادهم لا راد لها الا كلمة الله ..

سعدون (لا تزال الرجفة تسري في صوته وكأنه يحدث نفسه هو الآخر) سترى ان كان بمقدورك ان ترد كلمة السيد المدير !!

عبد الهادي (بصوت اكثر وضوحا) ليس بهذا المعنى الساذج .. ان الهزيمة الموقوتة في موقع ما لا تعني الانسحاب النهائي من الميدان ..

(ينفتح الباب ويخرج المدير .. رجل في الخامسة والاربعين من العمر حليق الشارب ، مصفوف الشعر بعناية فائقة .. اما بدلته فمن النوع (المودرن) الذي اشترى له جاهزا، على ما يبدو ، من احدى عواصم الغرب .. يقف سعدون بسرعة ويهرع لاستقباله .. وينهض عصام بنوع من التثاقل .. اما عبد الهادي فانه يظل جالسا بغير اكتراث ..)

المدير (بصوت هادئ املس) لا داعي للانسحاب الى المواقع الاخرى لاننا لسنا في معركة !! ان ظروف الدائرة والمشاكل المتزايدة التي اخذت تعانيها ، والمعلومات المفصلة ، التي راحت تصلني (ينظر الى سعدون) تحتم علي ، من اجل مصلحة هذه الدائرة ، استئصال العناصر الرديئة واستبدالها بمن هي اقدر على اداء المهمة .. باختصار وبقدر ما يتعلق الامر بهذه الشعبة فقد تقرر فصل عبد الهادي سلمان لمدة خمس سنين عله يتعلم خلالها كيف يحترم القوانين ، ويمارس عمله بامانة .. وسيحل سعدون محله رئيسا للملاحظين .. اما سميرة اسماعيل فسوف تعود الى الدائرة بدرجة اعلى لكي تعمل سكرتيرة لي (يدير ظهره ويتقدم خطوات الى غرفته) عبد الهادي .. يمكنك الآن ان تسلم المكتب لسعدون وان تغادر الغرفة .. اريد ان يتم ذلك سريعا ..

عبد الهادي (بدون اكتراث) لقد كنت متفائلا اكثر مما يجب ايها المدير .. ظننت ان لهيب الشمس التي قيل انها اقتربت في الايام الماضية كفيل باحراق دنس العالم .. ولكنني ما كنت اعرف ان العالم على هذا القدر المريع من الدنس .. وان الشمس لو اقتربت فعلا لما كانت قادرة على احراقه .. ان عالمنا المرهق هذا بحاجة الى مليون شمس لكي يتطهر ..

(يدخل المدير الذي كان طيلة اللحظات الاخيرة متوجها بظهره الى الموظفين .. ويوصد من خلفه الباب)

عصام (بتأثر بالغ) انني اشعر باكتئاب يعصر قلبي يا عبد الهادي .. وانني لا ادري كيف اعبر عن المي .. عن المرارة التي اتجرع طعمها الآن .. لقد كنت بشهادة جميع الموظفين اكثرنا كفاءة واخلاصا .. كنت تنجز عمل الست بثلاث او اربع ساعات وباكبر قدر من الاتقان .. وتطلب المزيد .. أتدري يا عبد الهادي .. انه ليس ثمة ضمان بعد اليوم .. ان مراكزنا جميعا قد اهتزت .. اذا كان الموظف الكفء يتعرض للدمار بمجرد وشاية رخيصة ، او شهوة حقيرة ، او قناعة قد لا توافق هوى الكبار .. فوق .. واذا كان الموظفون الصغار (ينظر باحتقار الى سعدون) يصعدون بهذه السرعة لكي يحتلوا مراكز المتفوقين ، ويزيحوهم .. لانهم اختاروا ان ينزعوا عن انفسهم ملامح شخصيتهم وخطوط ابهاماتهم ، ويرفضوا الشرف والكرامة التي منحهم الله اياها .. ويصبحوا هكذا يدا للآخرين واقداما لهم .. اذا كان يحدث هذا وذاك فهل ثمة ضمان بعد اليوم ؟ وكيف سيتميز الابيض من الاسود ؟!

عبد الهادي اطمئن .. ان الابيض سيظل ابيضا والاسود اسودا .. ولن يقدر احد في العالم على تغيير سنة الكون .. المهم هو ان تكون قلوبنا بيضاء امام الله ..

عصام انني حزين من اجلك ، وانا ادرى الناس بظروفك الصعبة هناك في البيت ..

عبد الهادي (يجمع اوراقه الخاصة ويقف) وانني اقدر اخلاصك يا عصام ولن انساه ما حييت ..

(يغادر الغرفة واذ يفتح الباب على القاعة الخارجية تطرق اسماعنا اصوات المسافرين)

احدهم ها قد مضى نصف ساعة ولم تأت السيارة لتنقلنا الى المطار ..

الموظف الاول قليلا من الصبر ايها الاخ ..

المسافر لقد صبرنا شهرا بكامله .. وها انتم تطلبون منا المزيد ..

الموظف لم يكن ذلك ذنبنا على اية حال ..

المسافر ذنب من اذن ؟

الموظف اعتقد انها الشمس ..

المسافر لم يكن للشمس أي ذنب في هذا التأخير ..

الموظف مهما يكن من امر فانه ليس ذنبنا ..

مسافر آخر (لجاره) آه .. لشدّ ما اتمنى ان اصل الى هناك .. لقد صهرتني ايام الحصار ومنع التجول الملعون ذاك .. واريد الآن ان اتنفس .. لقد نفد صبري ..

مسافر ثالث انني بدأت اتشاءم من هذا التأخير .. لم يبقوا لنا ثقة بشئ .. نصف ساعة ويحين موعد اقلاع الطائرة .. ومعاملات الجوازات ؟ وفحص الحقائب ؟ هل سيتاح لهم ان ينجزوها في اقل من نصف ساعة ؟

الموظف الثاني ان اكثر من نصف ركاب الطائرة المتوجهة الى لندن ينتظرون هنا في هذه الصالة ولن تقلع الطائرة قبل ان يستكمل هؤلاء معاملاتهم ..

المسافر معنى هذا ان الطائرة نفسها ربما ستتأخر ؟

الموظف الثاني ربما !!

المسافر حتى الطائرات تشذ عن مواعيدها هي الاخرى ؟ انني بدأت ايأس من هذا البلد .. بدأت احتقره .. وتريد منا ان نرجع اذا ما وصلنا الى هناك ؟

الموظف الثاني (بنفاد صبر) سواء رجعت ام لم ترجع فليس في الامكان احسن مما كان .. انه ليس بمقدورك تغيير نظام الكون ..

عبد الهادي (من بعيد وهو يهم بمغادرة الدائرة كلها مارا من جوار الموظف المذكور) اما نظام الكون فلا .. لقد توهموا قبل ايام ان شيئا ما قد اصابه وانه بحاجة الى تغيير.. الا انه سرعان ما تبين لهم انهم مخطئون .. لو ترك الكون لعبثهم لانهار منذ زمن بعيد !! ولكن ثمة ما يحتاج حقا الى ان يتغير .. لقد تسرب اليه الدنس حتى النخاع ..

المسافر والموظف الثاني (معا) ماذا ؟

عبد الهادي نظام العالم .. انه بامس الحاجة الى التغيير !!

– ستار –